الأملُ

تأليف

أ د. عقيل حسين عقيل

القاهرة 2017م

إلى الآملينَ الكرامِ

الذين صنعوا من الأملِ دولةً مأمولةً، رأسُ مالِها الكرامةُ،

وتحقيق النُقلةِ قيمٌ وفضائلُ

الشيخُ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله، وأبناؤه

المشايخ المحترمون

المحتويات

الأملُ 5

الآمل 31

المأمول 40

الأمل ليس رجاء:.. 46

الأمل ليس أمنية: 48

الأمل ليس حلم: 51

الأمل ليس تفاؤلا: 53

الأمل ليس غاية: 55

الأمل ليس طموحا:.. 62

الأمل ليس مستحيلا:.. 70

الأمل ليس نشوء معجزا: 90

الأمل ممكنا: 100

توليد الأمل: 113

صناعةُ الأمل:.. 123

الأمل ارتقاء:.. 136

صُنع الأمل تحدّي صعاب: 143

الأمل من أجل المأمول: 152
الأمل يصنع الخوارق:... 160
الأمل محفّز على الارتقاء:.. 167
الأمل ارتقاء آدمي: 173
الأمل وارتقاء الأخلاق: 188
الأمل بين الارتقاء والدّونية:...................................... 190
الأمل خوفا: 193
صدر للمؤلّف.. 221
مواضيع المؤلّفات 222
المؤلّف في سطور 235

الأملُ

الأملُ حيويّة تملأ النفس تطلّعا تجاه المأمول رغبة، حيث لا يأس ولا قنوط؛ وهو نتاج عزيمة الآمل وإرادة تجاه ما يمكن إنجازه وفقا لخطة مرسومة، وإمكانات وعدّة، مع وافر التهيؤ والاستعداد والتأهّب للعمل الجاد.

فالأمل لم يكن نتاج صدفة، بل حسن تدبّر عن وعي بعد تفكّر فيما يجب، وتذكّر لما كان غير مرضٍ ولا مقنع، وتطلّع لمستقبل مأمول فيه الأفضل والأجود والأفيد والأنفع والأرفع ارتقاء.

ومن ثمّ فالأمل كونه حيوية دافعة تجاه المأمول، هو استنتاج معرفي بعد قراءة واعية لما يجري، وما ينبغي أن يؤخذ تجاهه وفقا للقوّة المعدّة لمواجهته، وتجاوز ظروفه ومعطياته.

ولأنَّ الأمل قيمة رفيعة، فهو إن لم تبحث عنه وتسعى إليه لا يمكن له أن يبحث عنك ولا يسعى إليك، وإن أردت مصاحبته فعليك بقبول التحدّي، وإلّا لا داعي للعب في ميادينه الفسيحة، فإنْ كنت ضيق الصّدر وقاصر الرّؤى؛ فعليك بنفسك أوّلا حتى تخلّصها مما ألمّ بها من همومها وتزيح من أمامها ما وضع من عوائق؛ هذا إن رغبت أن تبني لنفسك صرحا من الأمل، وإن لم تفعل ذلك؛ فليس لك إلّا التوهّم والحلم والتمني، فتوهّم، واحلم، وتمنى ما شئت إذ لا يقظة في المقابر.

إنَّ للأمل علاقات مع الزّمن والمأمول فيه في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولهذا وجب على الآمل أنْ يستقرأ ويستنبط ما هو ممكن بعد التفاتةٍ منه إلى الماضي بغاية أخذ العبر واستيعاب المواعظ، ثمّ يقف عند حاضره؛ لحصر ما لديه من إمكانات، وما يمكن جمعه لإدارة تروس العمل الممكّن من بلوغ المأمول رغبة.

والأمل كونه شعورا حيويا مَكْمَنُ الثّقة في النفس المتطلّعة إلى المأمول حتى تناله نتيجة مرضية؛ فالآمل لا يقفز على الزّمن بقدر ما يراه ضرورة لنضج الثمار المستهدف جنيُها، فيعمل من أجل سلامة نضجها حتى تستوي رطبا.

ومن ثمّ، فالأمل يحتوي الزّمن من أجل بلوغ المأمول ونيله بلا ملل، والآمل لا تضيق نفسه من الزمن الذي يجب أن يكون حاضرا والمأمول لا يفارقه، بل نفسه تضيق إن لم يعمل عبر الزّمن من أجل نيل ما يأمله.

ولأنَّ الأمل يحتوي الزّمن وكأنّه مسافة تستوجب العبور؛ فلا يمكن لآملٍ أن يرى الزّمن عائقا ولا سالبا، بل يراه من موجبات تحقيق الأمل ونيله، ولهذا وجب على الآملين حساب الزّمن وإدارته وفقا للأهداف والأغراض والغايات الكامنة من ورائها.

والأمل لا يمكن أن يكون إلّا في الزّمن الحاضر، وفي المقابل المأمول لا يمكن أنْ يكون فيه، فهو بالنسبة إلى العموم لا يكون إلّا

في الزّمن المستقبل، ولكن بالنسبة إلى الخصوص فهو في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ومن هنا يمكن أن يكون المأمول في المستقبل، ويمكن أن يكون في الماضي؛ ولهذا فهم يسعون من أجل بلوغه ونيله أينما كان؛ فلو كان على سبيل المثال: أنَّ المأمول هو الجنّة، فهل الجنة تقع في الزّمن الحاضر أم أنّها في الزّمن الماضي؟

أقول:

مع أنَّ الأمل بالنّسبة إلى بني آدم يرتبط بالمستقبل، لكنّه بالنّسبة إلى آدم؛ فهو يرتبط بذلك الماضي الذي كانت فيه الأرض والسّماوات رتقا، ولهذا؛ فالأمل بالنّسبة إلى آدم هو العودة إلى تلك الجنّة التي فُقدت في لحظة غفلة.

ومن هنا؛ فالأمل مع أنّه من حيث المفهوم واحد، لكنّه من حيث الدّلالة ليس كذلك، ولذا وجب التفكير في الزّمن وضبطه بين ماضٍ لن يعود، وبين ماضٍ يأمله آدم وبنوه الذين يعتقدون أنّ الجنّة حقيقة على قيد الوجود؛ فتلك الجنّة التي خُلق فيها آدم وزوجه قبل أن تُفتق الأرض من السّماوات، ظلّت هناك في علوٍ، أمّا الأمل فظل منقطعا على الأرض التي أهبط بها ومن عليها من المختلفين والمتخالفين دنيا، ومن ثمّ، فلا ينبغي أن يكون التفكّر منزويا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة تأسيس لكلّ

الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول.

ولأنَّ الخلق فعل الخالق؛ فهو المتحقّق على المشيئة دون رأي لمخلوق في خَلقه، وهنا تكمن الكينونة، التي وجُدت المخلوقات عليها هي كما هي، ومع أنَّ الخَلق مؤسّس على فعل الكينونة (كن)، ولكن للصّيرة وجود أيضا؛ فأبونا آدم وزوجه اللذان خُلقا بكينونة الإنبات من الأرض، خُلقا في أحسن تقويم، الذي فيه صَنعة الحُسن لا تتغيّر.

أمّا الأخلاق والقيم والفضائل فتكتسب وتُعلّم وتتجسّد في القول والعمل والسّلوك، وقد لا تتجسّد، وهنا تكمن العلّة، التي تؤدّي بمن يتخلّى عن القيم والفضائل إلى الانحدار والدّونية، التي لا تليق بمن خُلق على الارتقاء قمّة.

ولذلك؛ ظلّ آدم وزوجه على الرّفعة الخلقيّة حتى أقدما على عمل المعصية؛ فانحدرا هبوطا من تلك الجنّة على الأرض الدّنيا، التي جُرّدت من الصّفات التي كانت عليها عُليا.

ومن هنا، أصبح الصّعود للقمّة مطلبا وأملا لمن فقد تلك المكانة، وبقي الخَلق الحَسن على ما هو عليه حُسنا، ولكن الأخلاق أصبحت على الاهتزاز تتبدّل من حَسنٍ إلى سيء، وكذلك من سيء إلى حَسن، قال تعالى: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ

فَلْيَكْفُرْ}[1]. فآدم وزوجه شاءا أن يؤمنا وأمل العودة إلى تلك الجنّة لم يفارقهما، ولكن بنيهما اختلفوا، بل تخالفوا على ما يؤدّي إلى الارتقاء، وما يؤدّي إلى الدّونية، حتى بلغ الاقتتال بينهم أشدّه.

ولأنّ العقل مكمن الفكرة، فهو منبع الأمل، ومع أنّهما معا من إعمال العقل وفي محفظته، ولكن الأمل يتعلّق بالغايات الخارجية، التي في دائرة الممكن لا تُبلغ إلّا تخييرا وإرادة؛ فمن يمتلك الإرادة يستطيع الاختيار الممكّن من التدبّر وحمْل المسؤولية، ومن لا يمتلكها، فإشارة قف لا تسمح له بالعبور إلى ضفاف الارتقاء الممكن من نيل الأمل قمّة.

ولذلك؛ فالنّاس يحدّدون أهدافهم، ثمّ، يعملون على إنجازها أو تحقيقها وبلوغ الغاية التي من ورائها، مع العلم أنّ الزّمن بين تحديدها وبلوغها يحتاج إلى أعوام، وهذا يعني: أنّ زمن تحديد الأهداف لم يكن هو زمن تحقيقها ولا تحقيق الغاية التي من ورائها، مع أنَّ الزّمن الذي حُدّدت فيه قد أصبح ماضٍ، وهو في ذات الوقت بالنّسبة إلى إنجازها أو بلوغها لا يعد إلّا مستقبلا، وهو الذي يوم بلوغه يصبح حاضرا وكأنّه لم يكن من قبل مستقبلا.

ومن ثمّ؛ فتلك الجنّة بمقاييس زماننا هي ماضي، ولكن إن سلّمنا بذلك، ألا يعني أنّ الماضي سيظل ماضٍ ولن يعود؟ وإذا كان

[1] الكهف 29.

كذلك؛ فلا أمل فيه، ممّا يجعل التسليم به، وكأنّنا نقول: لا وجود للجنّة في المستقبل.

ولهذا؛ فمن يعمل، ثمّ يزداد نموّا وارتقاء؛ فلن يبلغ جنّة غير تلك الجنّة التي هي حاضر آدم وزوجه، وهنا، نقول:

إنّ الماضي المأمول هو المستقبل بعينه؛ فمن شاء بلوغه؛ فليعمل على مستقبل يربطه بالماضي ارتقاء؛ ولكن هذا لا يعني الاجترار، ولا يعني الالتفات إلى الوراء، بل يعني: التقدّم تجاه المأمول نشوء وإبداعا منتجا لكلّ جديد مفيد يرتقي بالنّاس إلى تلك الجنّة، وحيث ذلك الماضي الذي خُلقت فيه الأزواج، والتي كان آدم وزوجه على رأسها في أحسن تقويم (قمّة).

فالزّمن متصّل بلا فواصل، وما يسمى بالماضي والحاضر والمستقبل، لا تزيد عن كونها فواصل من عندنا، وليس من عند الزّمن؛ فالزّمن هو الزّمن حاضرا، ولكن الأحداث التي تقع فيه تفصل بينها الأيّام التي بها تعد السّنين، وفيها تُصنّف الأعمال بين من ثقلت موازينه من أجل العودة إلى تلك الجنّة أملا وارتقاء، ومن خفّت موازنه انحدارا؛ حيث لا أمل له في ماضٍ لم يأمله مستقبلا.

ولذا؛ فَخَلق الكون مُرتقا، ونشوء آدم وزوجه فيه ارتقاء، ثمّ انحدارهما منه والأرض هبوطا، لا يلغي في دائرة الممكن أمل العودة

إلى ذلك الكون متى ما تمّ رتقه كما كان أوّل مرة. {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ}[2].

يُفهم من هذه الآية، أنّ الخَلقَ والنشوء قد أوجدا كونا أوّلا (كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)، ثمّ أصبح الارتقاء فرصة، ولأنّه فرصة؛ فلا ينبغي أن تضيع من أيدي من سُنحت لهم؛ ولهذا؛ فأوّل المغتنمين لها استغفارا وتوبة كان آدم عليه السّلام؛ فتاب الله عليه بأمل العودة إلى حيثما كان عليه قمّة.

وبما أنَّ الارتقاء لا يكون إلّا حيثما توجد القمّة المأمولة؛ إذن: فلا ارتقاء إلّا إلى حيثما هي كائنة، ولأنّها قمّة كائنة وجودا؛ فهي وجود سابق على من يرغبها أملا لاحقا، ومن هنا؛ فالزّمن ليس هو ما نأمله، بل الذي نأمله ما يحتويه الزّمن وجودا؛ ولذلك؛ فالزّمن هو الزّمن؛ فحيثما كان الماضي يكون المستقبل حاضرا.

فالكون الذي كانت بداية الخلق منه حاضرة، هو الكون الذي ستكون نهاية الخلق إليه حاضرة، أي: لا وجود لشيء إلّا في حاضرٍ. وبما أنَّ خلق الكون مُرتقا كان البداية، إذن: فالنّهاية لا تكون إلّا برتقه ثانية، (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) التي لا يمكن لنا معرفة كيفيّتها؛ لأنّ أمر معرفة الكيفية الأخرة مستحيل، ولأنّه أمر

[2] العنكبوت 20.

مستحيل؛ فهو خارج دائرة الممكن الذي لا فسحة لنا إلّا في ميادينه.

ولأنَّ الإنسان في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع؛ فهو مؤهّل لأن يرتقي إلى ما هو أفضل قيمة، ولأنّه كذلك؛ فالأمل لا يفارقه، ولهذا؛ فهو يبحث من أجل بلوغ القمّة التي لا تُبلغ إلّا بالمزيد العلمي والمعرفي، والعمل المنتج، وإصلاح ذات البين، وتحدي الصّعاب بكلّ ما يمكّن من قهرها.

فالغاية بالنّسبة إلى من تدبّر أمره في حاضره ارتقاء، هي: بلوغ ما هو أعظم منه ارتقاء، ولهذا؛ فعليه أن يفكّر فيما هو أعظم، وعليه أن يعرف أنّ بلوغه ممكنا؛ فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، مهما عمل من الأعمال الحِسان؛ فهو يعلم أنّه بالإمكان بلوغ ما هو أحسن منها، ولهذا؛ فلا ينبغي أن يتوقّف نموّا، بل عليه أن يعمل والأمل لا يفارقه، وعليه أن يعرف أنّ العمل ارتقاء وحده يطوي الهوة بين الأمل والآمل والمأمول والحاجة المتطوّرة ومشبعاتها المتنوّعة.

أمّا التفكّر ارتقاء فهو الذي لم يكن منزويا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة التأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول.

ولأجل النّهوض ارتقاء؛ وجب المزيد من البحث العلمي الممكِّن من المعرفة الواعية التي بدورها تُمكّن من الإسراع في طي الهوة بين المأمول والآمل، وذلك بما يطوي مشاعر الخوف طمأنينة، ويخلّص من الحيرة حلّا بعد تأزّم، فالبحث العلمي ارتقاء يستوجب أسلوبا مرنا، وطريقة تستوعب التاريخ تجربة ومنهجا ووسيلة.

ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فليس له بدّ إلّا المحافظة على حُسن تقويمه، وهذه قاعدة، ولكن إن انحدر استثناء، وبأيّة علّة؛ فليس له إلّا النّهوض، وهذه قاعدة أيضا، أمّا الاستثناء في ذلك ألا ينهض.

إنَّ الفكر الإنساني الطّموح لا يستهين بالزّمان، بل يعطه قيمة؛ ويثمّنه ساعة بساعة خوفا من أن تزداد الهوة اتساعا بينه وبين الأمل المرتقب؛ فهو يخاف الزّمن، وبخاصّة المستقبل منه؛ ذلك لأنّه يجهل ما يُخفيه، ومن ثمّ؛ فلا يثق فيه، كما أنّه لا يثق في الماضي والحاضر؛ لأنّ الماضي قد تركنا دون أن يتأسف علينا، ولا على الماضيين، وكذلك الحاضر مصرّ على ذلك بتنازله عنا برهة ببرهة، ولا يودّ الاستمرار معنا، ولهذا؛ فالثّقة تنعدم في الزّمنين (الماضي والحاضر)، ممّا يجعلنا لا نقصُر تفكيرنا عليهما إلّا لأخذ العبر والمواعظ.

ولذا؛ ينبغي أنْ نفكّر في غيرهما، ولا غير لهما إلّا المستقبل، الذي هو الآخر قد يغدر بآمالنا إنْ لم نَحتَط من غدره، ولهذا؛ فلا ثقة في الزّمن، بل الثّقة في العمل؛ فلنعمل على مكانتنا إن شئنا مكانة، ودون تقصير في العمل؛ ذلك لأنَّ التوقّف أو حتى التقصير قليلا يؤخّرنا كثيرا؛ وعلينا الأخذ بالمناهج التي تُمكننا من الارتقاء بعد أن تعلّمنا كيف نتعلَّم؟ وكيف نفكّر فيما نفكّر فيه؟ وكيف نولّد الحُجّة من الحُجّة؟ وكيف نكتشف أخطاءنا؟ وكيف نصلحها أوّلا بأوّل؟ وكيف ننتقل من التوقّف عند حدود الإصلاح إلى بلوغ الحلّ؟ ومن ثمّ؛ فعلينا ترك تلك المناهج التي تُبلغنا أو تُعلِمُنا بما عَلِمت به، ولا تُحفِّزنا على الارتقاء.

وعليه:

ينبغي أنْ نفكّر بعمق؛ حتى لا تضمر ذاكرتنا، وأن نقارن بين الدّقيق والأدق منه حتى تنشط عقولنا، وتستعيد عافيتها التي تمكّنها من التفكير المتوقّع وغير المتوقّع ارتقاء؛ فالعقول دائما في حاجة لأن تُمرّن؛ حتى تمتلك القوّة التي تُلفت الإنسان لنفسه، وتُمكّنه من ملاحظة الآخرين وما يدور من حولها.

ومن ثمّ؛ فعلى الإنسان أن يستدعي محفظته من الذّاكرة ويخضعها للتقييم، ثمّ يقوّم حالته حتى يستبصر نفسه وما هي عليه، وما يجب أن يُغيره من أجل نفسه وأجل الآخرين.

فالإنسان إذا أراد ارتقاء؛ فعليه أن يستوضح نفسه مثلما يحاول استيضاح أنفس الآخرين، حتى يتمكّن من إزاحة النقاط المظلمة فيها، وأن يتنزّه في نفسه؛ حتى يستبصر من هو؟ وما له؟ وما عليه؟ ثمّ يعمل على التصحيح، ويتحدّى نفسه تفكيرا حتى يدرك أسرارها وخفاياها، ومن ثمّ، يعرف أنَّ قوّة البصيرة بقوّة التفكير فيها، وهي لا تضعف إلّا إذا دخلتها الغفلة وسيّرتها الشّهوة. ولهذا؛ فالفكر ارتقاء يمكّن الآخذين به من التفكير فيما يفكّرون فيه حتى يفكّروا في غيره.

الارتقاء أملا لم يكن نتاج العاطفة، بل هو نتاج حسن تدبّر لصناعة المستقبل المشبع للحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، والممكّن من بلوغ الغايات العظام التي تجعل من الإنسان قيمة مقدّرة؛ فينبغي أن يرتقي الإنسان علما ومعرفة وخُلقا، وأسلوبا، وإلّا سيجد نفسه في منازل المستهلكين الذين يعيشون ليومهم عالة على جهود المنتجين والمبدعين وأهل الحُجّة والحكمة؛ فهم بهذه الأعباء يُجهدون المنتجين ويُشَدّونهم للخلف ممّا يجعل الفارق كبيرا بين الجهد المبذول من أجل بلوغ قِمم الارتقاء، والحاصل المنتج الذي تُنتجه الصّفوة العاملة والمتطلّعة ارتقاء.

وحتى أقرّب مفهوم الأمل، أسوق الأمثلة الآتية اختصارا:

ـ أمل الجاهل أن يتخلّص من الجهل؛ فيتوجه إلى من يعلّمه، وأمل العاطل الحصول على فرصة عمل؛ فيسعى حتى يبلغه، وأمل المريض العلاج فيتوجّه إلى الطبيب، وإن أراد شفاء فليسأل الشافي؛ وتوضيحا لذلك (الشفاء) أمل المكسور أن يجبر شفاء، وهنا لا جبّار شافيا للكسر إلّا الشافي جلّ جلاله، ولكن كيف يكون ذلك على يد الطبيب (المجبِّر)؟

تجيب قاعدة جبر الكسر بالقول الآتي:

بما أنّ الجبَّار هو القادر وحده على جبر العظم المكسور إلى حيثما كان عليه، إذن: ما يقوم به الطبيب أو الجبّار بالإضافة هو جعل العظام المكسورة في حالة ملامسة لبعضها بعضا، مع تثبيتها بموضوعية في الاتجاه السّليم؛ لإعادة جبرها على الحالة التي كانت عليها قبل أن تتعرض للكسر. وقد يظن البعض أنّ الطبيب يستطيع أن يجبر العظام بما يقوم به من جهد فني وإنساني، إلّا أنّ ما يقوم به الطبيب هو جعل أطراف العظام في حالة ملامسة وعلى حالة من الثبات، أمّا عملية الجبر فلا تتم إلا بنمو العظام في اتجاهها الذي بَذل الطبيب جهد التثبيت بشأنه؛ فالعظام لا تُجبر إلا بقوّة تجعلها في حالة امتداد يتمكّن من خلاله كل متجزئ من ملامسة المتجزئ الآخر والالتفاف حوله حتى تتمّ عمليات الجبر مع المتجزئات الأخرى، ومن ثمّ مع الأجزاء التي نمت بترابط المتجزئات

في اتجاه جبر الكتلة الواحدة التي تجعل العظام في حالة تماسك وقوّة كما كانت عليه أوّلا.

إنَّ ما يقوم به الجبّار بالإضافة (المجبّر) لا يزيد عن كونه عملية توكُّل على الجبّار الأعظم؛ حتى يعود العظم مجبورا على ما كان عليه قبل الكسر. ولذا فإنّ القاعدة تقول: (اتصال مؤقّت من الجبّار بالإضافة يؤدّي إلى اتصال دائم من الجبّار الدّائم).

إنّ ما يقوم به الطبيب من جهد مؤقّت في سبيل توصيل العظام المتباعدة بالكسر إلى بعضها هو الجهد المؤقّت. أمّا الاتصال الدائم هو الذي يتم بأفعال الجبّار الدائم إذ تنمو أمشاج العظام وتمتد إلى أن تتصل وتتماسك في وحدة واحدة بقوّة الواحد الجبار.

فالعظام لا تجبر إلا بطينتها المنبعثة الحياة فيها، وهذه الطينة وإن وجدت بين يدي الطبيب إلا أنّ الحياة لن توجد فيها، الحياة ديمومة منبعثة لا توجد إلا بيد الحي الدائم، أمّا الحي بالإضافة كل ما بيده مؤقت، ولهذا ما يقوم به من جهد في سبيل تجبير العظام هو جهد مؤقت. ولأنّ العظام لا تلتئم إلا بجهد دائم، لذا فإنّ التآمها لن يكون إلا بقوّة الجبّار الدائم. فالعظم بعدما يكسر تنفصل الحياة عن جزئه المنفصل عنه، ولأنّ انبعاث الحياة بيد الحي الذي لا يموت؛ إذن: إذا انكسر العظم وفقد انبعاث الحياة فيه فمن هو القادر على إعادتها إليه؟

إنّه الجبار الذي بيده أمر الحياة والموت. ولهذا فدور الطبيب أن يجعل العظام المكسورة في حالة تلامس وثبات؛ أمّا الجبر فليس من مهام الطبيب. قال تعالى: {وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[3]، وكلمة (ننشزها) نجبرها وحدة واحدة بانبعاث الحياة فيها، حتى تصبح قواما تاما للهيئة المناسبة لها ثم نكسوها لحما[4].

كل شيء على الله يسير فهو الذي أنشاء العظام أوّل مرّة من تراب، وهو الأصعب على مستوى التفكير الإنساني فما بالك بأن يجبرها بعد أن تكسر وهو الأيسر!

ولأنّ الجبر خلاف الكسر؛ فإنّ الجبّار تعالى يجبر المستقل مع المستقل عنه في علاقة اتصال، ولهذا لا أمل في شفاء مخلوق إلّا برضاء الخالق.

ولسائل أن يسأل:

ما علاقة ذلك بالأمل؟

أقول:

---

[3] البقرة 259.

[4] عقيل حسين عقيل، موسوعة أسماء الله من وحي القرآن، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، دمشق بيروت، 2009م، ص 374.

إنّ الأمل في دائرة الممكن يستوجب عملا وجهدا يبذل، أمّا الأمل خارج دائرة الممكن فهو لا يكون إلّا معجزة أو مستحيلا؛ فالممكن هو الذي نأمله ارتقاء فنعمل عليه اعتمادا على جهدنا وإمكاناتنا وحسن تدبّرنا، أمّا المعجز: فلا يكون إلّا على أيدي الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، وهؤلاء ختموا بمحمّد عليه الصّلاة والسّلام، أمّا المستحيل: فلا يكون إلّا بأمر الله (كن) وهو الأمر الذي يجعل العظم مجبورا.

ومن ثمّ، ينبغي أن يكون الأمل: (عملا ودعاء) عملا: يُقدم عليه مع وافر العزيمة ولا قنوط، وعملا من ورائه لا يبلغ إلّا عبادة، وهنا يكمن الدّعاء (دعاء السّميع القريب المجيب القادر).

وعليه فالأمل لم يكن الرّجاء ولا التفاؤل؛ ذلك لأنَّ الرّجاء توسّلي، وفيه من المطامع ما فيه، ومن يتكئ عليه يجد نفسه معتمدا على غيره؛ ممّا يجعله على استعداد لتقديم التنازلات رجاء.

أمّا التفاؤل Optimism: فهو انطباع توقّعي استبشاري لمستقبل ما، ولكن الاستبشار قد لا يزيد عن كونه انطباعا نفسيّا مُرضيا لأصحابه؛ لأنّ مفهومه لا يحتوي الإصرار والعزيمة على بلوغ المستبشر من أجله، ولذا فهو شعور لا يشترط عملا ولا جهدا يبذل.

أمّا الأمل: فله من المعطيات والمؤشّرات ما يثبت وجود المستهدف من ورائه، ولهذا فلم يكن شيئا متخيلا، بل احتمالات بلوغه في دائرة الممكن متوقّعة، وهو يستوجب عملا وجهدا يبذل في سبيل بلوغه مع تصميم وعزيمة دون يأس مع رسم الخطط الممكِّنة منه.

فالأمل لم يكن مجرّد شعورٍ في ذاته، بل هو ذلك الشّعور المملوء طموحا، وهو المرتبط بالزّمن وما يُسجّل في صفحات التاريخ، وهو المتعلّق بما يُمكِن إنجازه أو تحقيقه أو بلوغه ونيله.

فالحياة بلا أمل حياة بلا طموح وبلا مستقبل؛ إذ لا مُحفّز على ما يُمكن أن تبذل الجهود من أجله، فالأمل حيويّة منبعثة تُمكّن من طي المسافة بين الرّغبة والمأمول نيله.

ولأنّه الأمل؛ فهو المستمدّ من منابعه التي يتولّد فيها فكرة من بعد فكرة، والأمل يتطوّر دون توقّف، وهو المتجاوز بأصحابه أسقف التفكير المحدودة إلى تلك التي تُفتح آفاقها أمام المتأمّلين في المشاهد والمجرّد حتى بلوغ معرفة المستحيل مستحيلا، والمعجز معجزا. كما أنّ الأمل في دائرة الممكن يتحدّى بالآملين الصّعاب، ويدفعهم إلى ما من شأنه أن يُمكّن من بلوغ أعمال الخوارق.

ومع أنَّ مفهوم الأمل من حيث المعنى معلوم، ولكنّه من حيث الفعل يرتدي ثوب التنكير، وسيظل منكرا حتى يفصح

أصحاب الأمل عمّا يأملون، أي: سيظل الأمل في ذاته أملا حتى يتجسّد فيما يودّ نيله.

ومن ثم فالحياة الأمل لا يهدّدها الزّوال، وهذه لا تُبلغ إلّا إذا تجسّد الأمل عملا محفّزا بالرّغبة والإرادة. ولهذا فمن يعمل من أجل بلوغها يصنع لنفسه أملا لا يموت حتى يورّثه لمن خلفه.

أمّا الإنسان الآمل؛ فهو الذي يولِّد من الفكرة فكرة تخرجه ومن معه من التأزّمات وتصنع لهم مستقبلا يحدث نقلة تمكّنهم من عمل الخوارق؛ حتى يعرفوا أنّ المعجز معجز.

ولذلك فالواعون دائما هم السبّاقون والمبادرون بصناعة الأمل الذي يقرِّبهم من رتق الأرض بالسّماء ارتقاء.

وعليه:

. فكّر فيما يجب قبل وجوبه؛ حتى تكون سبّاقا قبل غيرك.

. اعرف أنّ الأمل لم يكن غاية، بل الغاية بلوغ المأمول؛ فاعمل من أجله إن أردته حقيقة بين يديك.

. تحدّى كلّ محيّرٍ حتى تتجاوزه معرفة، وتصبح السُبل أمامك بلا عوائق ولا معيقين.

. اصنع أملا؛ فالأمل لا يصنع نفسه، ولا يأتيك من الغير، واعرف أنّ المسافة بينك وبينه وإن كانت بعيدة فهي غير مستحيلة.

. فكّر في نفسك حتى تستكشف نقاط ضعفها، لتتجاوزها قبل أن يشار إليك من الغير بما يمكن الإشارة به إليك إحراجا.

. اعمل بحيويّة وتفاعل إن أردت القضاء على الملل الحائل بينك وصناعة الأمل.

. عرّف من لك علاقة بهم أنَّ الصّعوبات لا تصمد أمام الصّامدين في سبيل تحقيق آمالهم، وحفّزهم على التحدّي؛ ذلك لأنَّ قبول التحدّي لما يؤلم يمكّن من بلوغ ما يدخل البهجة.

. تجاوز بهم قصور التفكير عند المتوقّع رتابة إلى غير المتوقّع الذي تملوه الحيوية بما يرشد إليه من جديد أكثر وضوحا.

. لا تصدّق ما تسمع؛ فإنْ صدقت ما استمعت إليه وكأنّه المسلّمات فقد تقع في السُفلية والدّونية كما وقع فيها أبونا آدم عليه السّلام حينما غرّر به إبليس؛ فكانت النتيجة مؤلمة (خروجه وزوجه من الجنّة).

. تأكّد أنّ وراء كلّ هدف أهداف أخرى لا يمكن أن تعرف إلّا بعد إنجاز ما قد حدّد هدفا.

. تأكّد أن وراء كلّ هدف من الأهداف التي تمّ تحديدها غرض ووراء كلّ غرض أغراض جديدة.

. تأكّد أنّ وراء الأغراض غايات، ووراء الغايات غايات أعظم منها؛ فلا تملّ ولا تقنط.

. تأكّد أن التقدّم خطوات فأسرع تقدّما دون التسرّع.

. اعمل على صناعة الأمل؛ فالأمل يصنع بلا يأس.

. تأكّد أنّك على القوّة، ولكن عليك بمعرفة أنّ قوّتك لن تخرج عن دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) ولهذا؛ فلا إطلاق لقوتك، ومن هنا يكون الضّعف والوهن الذي يستوجب الاستعانة بالغير لاستمداد أفعال القوّة الممكّنة من إنجاز ما يفوق القوّة الفردية، ولذلك فالآمال العظام تحتاج لتكاتف الجهود، ولا استغراب.

. الأمل دائما لا يتحقّق إلّا بتهيؤ الآملين تهيؤ نفسيا وعقليا وبدنيا وصحة وتعليما وتأهيلا وتدريبا؛ فعليك بمزيد من ذلك إن أردت بلوغ آمال عريضة.

. أعرف أنّ الأمل لا يأتي إليك أبدا، بل الأمل تسعى إليه؛ فاسعى فهو ممكن التحقّق، ولكن عملا.

. بلوغ المأمول يستوجب عدّة وإعداد لها، فعليك بإعداد العُدة الممكّنة من بلوغ المأمول.

. الأمل يستوجب حوافز ودوافع حتى لا يتسلّل الملل إلى العقل والقلب والنّفس البشرية، وخير الحوافز والدّوافع (الرّغبة) إذ لا عمل

ولا أمل بلا رغبة، ذلك لأنّ الأعمال والأمل بدونها تصبح أمنيات ليس إلّا. ولهذا؛ فالأمنية شيء لا يستوجب الإقدام عملا، أمّا الأمل فلا يكون إلّا والعمل أداته تخطيطا وتنفيذا مع وافر الرّغبة.

ـ الأمل يستوجب الاستعداد إليه تأهّبا وعدة وإعداد. ومن ثمّ استعدادا يُمكن الآمل من بلوغ أمله.

ـ الأمل يستوجب متأهّبا للإقدام على الفعل الممكّن منه أملا، من خلال تنفيذ ما رسم من خطّة أو استراتيجية قد أعدت من أجل بلوغه.

ولسائل أن يسأل:

ألا تكون العلاقة بين الآملِ وأملهِ علاقة غاية؟

أقول: لا.

الأمل لا يزيد عن كونه شعورا مرغوبا، ولكنّه في حاجة لما يشبعه، أي: هناك علاقة بين الآمل وأمله، وهذا الأمر يجعل من الأمل حلقة وصل بدونه يكون اليأس هو ما تمتلي به المسافة بين الآمل وما يمكن أن يكون له من أمل، ولذا؛ فإن حدث ذلك؛ أصبح الفرد أو الجماعة في مراحل الأمنيات وليس في مرحلة الآمال.

فالأمل حيويّة تولّد طاقة صامتة، أصحابه لا يستسلمون لليأس، بل يتحدونه ويتمرّدون عليه؛ من أجل مأمول مرغوب يحفّز على مزيدٍ من المثابرة حتى بلوغ الخوارق.

ولهذا فالأمل مولود التساؤلات والفرضيات العلمية التي تخرج الحائر من حيرته، وهي الموجّة للباحث صوب أهدافه، وللآمل صوب مأمولاته، وهي الممكّنة من معرفة الكيفية التي عليها الأشياء في دائرة الممكن، وهي ذاتها كاشفة للعلاقة بين المشاهد والمجرّد.

إذن: وجب الارتباط بين الآمِل والمأمول بأمل لا يأس فيه. ومن أراد مزيدا من الآمال؛ فعليه بمنابعها؛ فهي لا تستمدّ إلّا منها. إنّها الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي يرتضيها النّاس إلى جانب المبدع والمنتج الذي يحفّز على مزيد من توليد الأمل وصنعه.

فمنابعُ الأمل هي تلك القيم والمبادئ ذات المعاني والمفاهيم التي يأمل النّاس سيادتها بينهم دلالة ومعني، وهي التي تتجسّد في الأفعال والأعمال والسّلوكيات وتحدث النُقلة إلى الأفضل والأفيد محبّة ونفعا، كما أنّها ترتقي بمن سادت بينهم إلى معرفة ما يَكمُن خلف المجرّد وكيفية كمونه.

إنّها نتاج الموروث الاجتماعي والإنساني المستمدّ من الأعراف والأديان ذات الفضائل الخيّرة التي تحفّز على الارتقاء وإحداث النُقلة إلى ما يحقق الإشباع المرضي، كما أنّها ترشد إلى ما يُمكّن من تجسيد

القدوة الحسنة؛ التي تُقدّر الآخرين حتى تحظى بتقديرهم؛ فمنابع الأمل أساسها القيم الحميدة والفضائل الخيرة التي تمكّن من بلوغ الغايات، وهي التي تستوعب المتغيرات دون أن تحدث انتكاسات معرفية أو سلوكية.

فالقيم عندما تنتج المبادئ الأخلاقية قولا وفعلا وعملا وسلوكا تقود إلى تحقيق المأمول إرادة ورغبة، مع قبول الآخر واحترام خصوصيته التي بها يختلف عن الغير.

ولأنَّها القيم المرضية عن إرادة؛ فالمساس بها ليس بالأمر الهيّن، وهو أيضا لم يكن مستحيلا، ولهذا في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع كل شيء ممكن. ولأنّ كلّ شيء ممكن؛ فمنابع الأمل قابلة للتقويض، متى ما تولى الأمر فاسد، أو دكتاتور أو محتل لا يُقدّر المقدَّر من قِبل النّاس الذين يتعلّق الأمر بهم، فالقيم مع أنَّها نتاج الإرادة والرّغبة والمنافع المشتركة، ولكنّ التمرّد عليها بإجراءات تعسّفية ممكن؛ فمن يتمكّن من سلب إرادة النّاس قهرا يتمكّن من تقويض القيم عبثا.

وعندما تستولي الأنا العابثة على أمر السّلطة الحاكمة، تصبح الأقوال غير الأفعال، حالها حال أحوَل العينين، الذي يلتفت إلى اتجاهٍ ما ليرى شيئا آخر في الاتجاه الآخر، فنلاحظ في بعض الأحيان أنّ أقوال الحاكم الفاسد تبدو وكأنّها مؤيّدة لفضائل وقيمٍ خيّرة، وفي

المقابل أفعاله وأعماله تقوّضها من كلّ جانب؛ فالمفسد يدّعي الإصلاح حتى يظهر نفسه وكأنّه المنقذ.

ولأن القيم تتعرّض للتقويض من قِبل المستبدّين؛ فهي متى ما قوّضت تبدّلت وتبدّل أصحابها؛ وعندما تستبدل القيم عن غير رغبة ولا إرادة يصبح النفاق سائدا على حساب الصّدق حتَّى تكاد لا تعرف الحقيقة مع قربها منك، وعندما يسود النفاق بين النّاس بأسباب انعدام الثّقة، يصبح الكذب إلى جانبه سائدا جنبا إلى جنب مع التزوير والخيانة والغشّ وإباحة ممتلكات الدّولة.

ولأنَّ الفساد خروجٌ عمّا ترشد إليه منابع الأمل التي ارتضاها النّاس عبر التَّاريخ رغبة وإرادة؛ فستظل المواجهة مع الفساد والفاسدين بين سرٍ وعلانية ولكلٍّ ثمنه.

ولأنّ منابع الأمل نتاج جمعي؛ فالمواجهة معها إن حدثت ستكون مواجهة بين خصوص وعموم، ممّا يجعل ساعة الحسم بينهما ساعة مفاجئة فيها الفساد لن يكون أملا.

ولذا فعندما يُقصى ويُمنع المواطن من ممارسة حقوقه الوطنية يُدفع تطرّفا ليكون على رأس هرم العنف حتى وإن كان من قَبل على مستوى من مستوياته الدّنيا، وهكذا من يستهدف الشّعب بالتكميم والتغييب والإقصاء، سيجد نفسه طرفا معاديا للشّعب ومطاردا من قِبله.

منابع الأمل تربط الحاضر بالماضي بهدف استمداد العبر والمواعظ، وتربطه بالمستقبل بغرض إحداث النُقلة وغاية بلوغ الحلّ الذي لا تأزّم من بعده.

فمنابع الأمل قيما لم تكن مقادير كميّة، بل كيفية على الدّلالة والمعنى تجعل القدر لمن لم يكن له قدر، فترفعه مكانة وقدوة حتى تجعل من رأسه رأس هيبة. وهذا لا يعني أنّها تعاليم تُلقّن؛ بل هي القيم القابلة لأن تتجسّد في الفعل الإنساني عملا وسلوكا. إنّها منابع إحداث التغيير في الزّمن الآن ليكون المستقبل زمنا حاضرا.

فتلك القيم الحميدة التي جعلت من معانيها صفات لمتشربيها جعلتهم على المكانة والرّفعة؛ فمن يتشرّب قيمة العدل حتى يتّصف بها عادلا، لا يختلف عمّن تجسّد الصّدق في قوله وفعله حتى أصبح الصّدق صفة لا تفارقه، أي: من يتّصف بالعدل يوصف به عادلا، ومن يتّصف بالصّدق يوصف به صادقا، ولهذا؛ فالنّاس متى ما تخالفوا أصبحوا في حاجة لِحَكمٍ عادلٍ وأناس صادقين لا يكتمون شهاداتهم، وهذا الأمر قد لا يتحقّق ما لم تتطابق قيمة العدل مع شخصية الحَكَم أو القاضي أو من كان شاهدا.

إذن: في الوقت الذي فيه منابع الأمل تزيل المخاوف، هناك ما يُخيف ومن يخيف، فالحاكم غير العادل مُخيف؛ لأنّه لم يأخذ بقيمة العدل، وهذا ما يتخالف مع ما يأمله النّاس؛ فالنّاس يأملون

تطبيق العدالة، ولكن عندما يكون الحاكم على غير علاقة مع قيمة العدل فلا عدالة، وهنا تكمن العلّة التي تفصل النّاس عمّا يأملون.

أمّا الأمل؛ فهو الحيويّة المحفّزة للاندفاع تجاه كلّ ما من شأنه أن يُمكّن من بلوغ الغايات، وهو الحيويّة التي تصهر الرّغبة في الطّموح مع قبول تحدّي الصّعاب.

ومع أنَّ الأمل قيمة، لكنّه ليس بمادي، فالمادي وإن كان من ورائه أمل فهو لا يُبلغ إلّا بمزيدٍ من الجهد، أمّا الأمل؛ فهو ما يخالج نفس الإنسان تجاه الشيء الذي لا يبلغ إلا بجهدٍ يبذل، ومن هنا؛ فالأمل محفّز نفسي بحيويّة الرّغبة تجاه الغايات التي من ورائها مأمولات، ولهذا فمن يفقد المكانة لن يكون له أمل سوى العودة إليها، وهكذا سيظل الصّعود للقمّة مطلبا وأملا لمن فقده مكانة.

فالمكانة التي لا تتحقّق إلّا بالعمل لن تُبلغ ما لم يكن الأمل من ورائها يُصنع، ولأنّ الأمل في اتجاه بلوغ الغايات لا يتحقّق إلّا عملا، فسيظل الأمل مفهوما لا معنى له ما لم ينعكس في جهود تبذل بقوّة الرّغبة والإرادة تجاه غايات تُمكّن من إشباع الحاجات المتطوّرة.

ولهذا فالأمل العظيم يستوجب بذل الجهد مع مقدرة على توليد الفكرة من الفكرة حتى لا يتمّ التوقّف عند حدّ معرفة المشاهد

والقصور عن معرفة المجرّد، قال تعالى: {فانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ}[5]، أنزلت هذه الآية بدلالة التمعّن فيما تنظرون إليه من عجائب، والنّظر إلى العجائب يستوجب التفكير في الكيفية التي بها خُلقت العجائب، {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}[6]، أي: يا بني آدم، لا تستوقفوا عقولكم عند المشاهد، بل مدّوا نظركم إلى الكيفية التي عليها وبها خلقت الأشياء؛ فالنّظر إلى الإبل والسّماء والجبال والأرض ضرورة، لكن الأعظم من ذلك النّظر إلى الكيفية التي بها خُلقت الإبل، والكيفية التي بها رُفعت السّماء، والكيفية التي بها نصبت الجبال، وسُطحت الأرض.

هذه الآيات أنزلت بلغة التعجّب (أفلا ينظرون)، فلو نظر بنو آدم لعرفوا، ولو عرفوا لتدبّروا، ولأنّهم لم ينظروا؛ فلن يتذكّروا ما يعظهم، ولن يتدبّروا ما يفيد أمرهم، ولن يفكّروا فيما يجب، وهنا يكمن القصور عمّا يحقّق الأمل.

ولذلك، وجب التذكّر حتى لا تتكرّر الأخطاء، ووجب التدبّر دون غفلة عن العبر وما يوعظ، ووجب التفكّر فيما يُمكّن من معرفة

---

[5] العنكبوت 20.

[6] الغاشية 17-20.

الكيفية التي تُمكّن من معرفة المستحيل مستحيلا، ومعرفة المعجز معجزا، ومعرفة الممكن ممكنا.

ولا ينبغي أن يكون التفكّر منزويا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة تأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول.

ومن ثمّ؛ يعد التوقّف أو الانكفاء سِمة تشير إلى وجود خلخلة وبعثرة حقيقية في التفكير، ممّا يخلق ارتباكا وفوضى معرفية لا تكون نتائجها محمودة؛ فالتفكّر ارتقاء لا يكون إلّا واقعا ضمن دوائر متعددة تكون حاضنة له؛ فتمنحه كلّ ما من شأنه أن يحقّقه.

والتفكّر ارتقاء هو الذي يسير بالفكر الإنساني نحو إيجاد بدائل تكمن فيها معطيات النّهوض الذي يمنح النّاس حياة فيها الآمال تتحقّق.

الآمل

الآمل هو من تولّد في عقله ونفسه أمل دون أن يتسلل إليه يأس ولا قنوط، بل العزيمة والإصرار وقبول التحدّي تحفّزه إقداما على العمل الممكّن من بلوغ المأمول ونيله.

فالآمل ينظر إلى المستقبل مخبأ الكنوز؛ فيسعى إليه جادا وهو متيقّن أن المستقبل تأتي إليه لا يأتي إليك؛ فيعمل كل ما من شأنه

ميسّرا لبلوغه حتى يستطيع إحداث النقلة المأمولة وبلوغ الحلّ. وفي المقابل الحالمون والمتمنون باقون على منصات الحلم والتمني ينتظرون المستقبل الذي لن يأتي.

الآمل تحيّره القضايا وتلفت انتباهه لنفسه وللآخرين خوفا؛ فتأخذ من تفكيره حيزا، تشغله بداية، ونهاية تجعله متهيئا لتقديم الحلّ المخرج من التأزّمات.

ولذلك فالآمل لا يستسلم للواقع مع أنَّه لا يغفل عن أهميّته، بل يعمل على استفزازه لعلّه ينهض، فالواقع عندما يصبح قاصرا عن إشباع الحاجات المتطوّرة فلا ينبغي الرّكون إليه، بل ينبغي نفض الغبار عنه، وكشفه كما هو، والعمل على تغييره لما يجب أن يكون عليه قمّة.

ولهذا فأقدام الآملين لا تقبل المشي على الغبار ورائحة المياه من جوف الأرض تنبعث، الحالمون والواهمون وحدهم فوق الغبار ينتظروا، أمّا الآملون فقد أسرعوا مشيا وتنقيبا؛ فتفجّرت منها العيون تنبع ذهبا وثمرا وطيبا.

إنّه المستقبل المأمول الذي إن لم تأت إليه لا يمكن أن يأتي إليك، فمن المستغرب أن تكون المياه تحت الأقدام والحالمون والواهمون والمتمنون يمشون على الغبار حفاة!).

الآمل لا يرضخ لواقع فيه من الألم ما فيه، أنّه شخصية حيويّة، يسعى لما يشبع الحاجة قبل الشعور بها حاجة، ومخازن تفكيره تجعل من الثروة مخازن. إنّها المخازن المأمولة التي لا تأتي لمن قَبِل بوضع قدميه في الغبار وباطن الأرض تحتهما كنز ورحمة.

ولأنّها الحياة الدنيا، فلا تنس نصيبك منها، ولا ينبغي أن تجعلها نصيبك؛ فهناك ما هو أعظم، وهو الآخر لا يأتي إليك إن لم تأت إليه؛ فاعمل صالحا واتق الله في قدميك وأخرجهما من الغبار بما أنّك خُلقت مخيّرا في كل ما يتعلّق بأمرك، ولا تفكّر في التسيير فهو بيد الله شئت أم أبيت.

كن آملا وخلّص نفسك من الاستغراب الذي إن لم تفارقه لن يفارقك. وإن لم تفارقه ليس لك إلّا قبول المزيد من دفع الثمن مع وافر الحيرة والألم عند كلّ تغيّر مفاجئ؛ ولهذا فالتغيير إلى الأحسن نزهة الآملين، وفي المقابل التغيّر إلى الأسوء لا يكون منزلة إلّا للمفسدين فيها.

ولأنّ الآمل يترقّب التغيير للأحسن؛ فلا استغراب في قاموس أمله، بل التغيير للأفضل يحفّزه على طي المسافات مع المأمول المراد نيله؛ فيغتنم التغيير حيويّة مضافة.

الآمل شخصية متهيئة لإحداث النُقلة من الأرض المغبّرة إلى الأرض المرويّة، مع عزمه على إحداث نقلة أعظم تسهم في رتق الأرض بالسّماء جنّة.

الآمل شخصية تمتلك الإرادة وتحسن التصرّف؛ فترسم خططها وسياساتها وفقا لأهداف قابلة للإنجاز، ولهذا وضع الآمل نفسه موضع الاستعداد الذي يستوجب إعداد عدّة؛ فيعدها وروح التحدّي لا تفارقه.

ولأنّ الآمل لا يأس في نفسه؛ فهو لا يقبل الوقوف عند حدّ التهيؤ والاستعداد وإعداد العدّة، بل يتجاوزها إلى ما يمكّن من العمل فيتأهب له لحظة بلحظة، حتى يدخل ميادينه إنتاجا وإبداعا.

ولهذا فشخصية الآمل جسورة (حُجّة ومنطق)، فهي متى ما واجهها الرّوتين أسقطته أرضًا، شخصيّة متطلّعة لما يجب ومُقدِمة على أفعاله وأعماله، تستقرأ التاريخ كي لا تغفل، وتدبّر حاضرها بحثا علميا، وتتطلّعا إلى المأمول خطا ثابتة. والثقة في التغيير إلى الأفيد والأجود والأنفع بلا حدود إلى النهاية.

قيم المجتمع الحضارية والثقافية تستوقفها ذاتا وطنية فلا تقبل المساومة، الفضائل الخيرة بالنسبة إليها تشكّل روح المأمول وتلهم النفس طمأنينة.

شخصية الآمل متطوّرة عملا ومعرفة وثقة، ولا تنظر للآخر الجاد إلّا سندا، فتستوعبه ضلعا من أضلاع الأشكال الهندسية التي لا تُرسم وتتجسّد الهيئات إلّا بها بناء وإعمارا وارتقاء.

شخصية لها هيئتها الخاصّة ثقافة وعادة وعرفا، تحترم من يحترمها ويقدّر خصوصيتها، ممّا يدعوها إلى مبادلته اعترافا وتقديرا واحتراما.

ولهذا فالآمل غايته مبادلة الاعتراف بالاعتراف، والتقدير بالتقدير، والاحترام بالاحترام، والاستيعاب بالاستيعاب مع وافر التفهّم لكلّ خصوصيّة.

وهذه الغايات من ورائها غاية عظمى ألا وهي بلوغ المأمول ونيله درجة من بعد درجة على سلّم الارتقاء، فالارتقاء بالنسبة إلى الآملين غاية كبرى؛ كونه يمكّن من بلوغ العيش الرّغد، والحياة الآمنة المطمئنة، والعدالة التي لا ظلم من بعدها، والتوافق الذي لا محبّة إلّا منه.

الارتقاء بالنسبة إلى الآملين لم يكن نقطة للوقوف أو التوقّف، بل نقطة للانطلاق؛ فكلّما بلغ الآمل نقطة ارتقاء تحفّز إلى ارتقاء أهم، واندفع تجاهه.

ومن ثمّ فالآمل لا ينكسر، وإن انكسر بأيّ علّة جُبر بمأمولٍ؛ فالمأمول لا يفارق الآمل؛ ولهذا إذا وقع مفاجئة يهمّ وينهض

ويستأنف المسير، أمّا غيره إذا وقع فلا نهوض، وعليه ليس عيبا أن يسقطك الخصم أرضا، ولكن العيب ألّا تهمّ وتنهض.

الآمل يحسب الوقت ويجيد إدارته عملا منتجا، فليس له وقت يضيع، وهو المتجاوز عن أخطائه وأخطاء الآخرين احتراما لنفسه وللآخرين، ثمّ احتراما للوقت الثمين الذي لا ينبغي أن يضيع، ولهذا الصّفح والصّلح والعفو والتسامح رأس ماله.

ولأنّ هذه القيم من ملامح شخصيّة الآمل؛ فالآمل لا يقف إلّا عند إشارة قف بغاية فسح المجال أمام الآخرين حركة آمنة؛ فتفكير الآمل متجاوز للأسقف التي تحدّ من الامتداد الحرّ فسحة لا تلامس امتداد الغير داخل حدودهم.

الآمل إنْ أراد نفسه قدوة حسنة؛ فعليه بالقول الحسن، والفعل الحسن، والسّلوك الحسن، مع عدم التفريط في الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة إلى جانب قيادة العمل الجاد الذي يستوعب الآخرين رحمة، وفي هذا الشأن أخّص الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بالرّحمة التي أورثها لشعبه أمل محبّة.

ومع أنَّ الشخصية الآملة لا تفرّط في قيمها وفضائلها الخيّرة، فهي تتطلّع إلى معرفة قيم الآخرين؛ لتأخذ منها ما يفيد علما ومعرفة وثقافة وتقدّما وارتقاء.

فالشخصية الآملة مع أنها تؤمن أنّه لا إمكانية لبلوغ المستحيل والمعجز، لكنّها تعمل وكأنّها واثقة من بلوغهما؛ ولهذا بإمكانها توليد الأمل من الأمل حتى بلوغ الخوارق. فالآمل لا يتقدّم خطوة إلّا وحسب لها ما حسب في دائرة الممكن، وعرف أين بإمكانه أن يضع قدمه، وعندما يضع قدمه بداية المسير لا يمكن أن يرفع قدمه الأخرى إلّا إذا تبيّن له المكان الذي يجب أن توضع عليه؛ ولهذا فخطاه ثابتة والرّياح لا تهزّه. قدّر كلّ شيء وحسب لكلّ شيء جدوته، ومن ثمّ فلا مأمول له إلّا وإمكانية نيله متيسّرة.

وعليه فالآمل:

ـ يمارس حقوقه كي لا يفتقدها.

ـ يؤدّي واجباته كي لا تضيع مكانته.

ـ يتحمّل مسؤوليته كي لا يغيّب ولا يهمّش.

ولهذا:

ـ ثق في نفسك إن كنت عازما على التقدّم.

ـ ثق في نفسك إن أردت تحدٍّ.

ـ ثق فيما تأمل إن أردت نيل المأمول.

ـ ثق في نفسك يقدّرك الغير.

ـ ثق في نفسك يخشاك الغير.

ـ ثق في نفسك تحدث النُقلة.

ـ ثق في نفسك تبلغ الخوارق.

ولأنّ الثقة عمار النفس فعليك أن تعرف أن الثقة:

ـ مكمن قوّة النهوض.

ـ مكمن قوّة العطاء.

ـ مكمن قوّة التحدّي.

ـ مكمن قوّة نيل الاعتبار.

ـ مكمن قوّة الحصول على الاعتراف والاحترام والتفهّم والتقدير.

إذن: الآمل ينبغي ألّا تأخذه الغفلة؛ فإن أخذته الغفلة:

ـ ضاع مأموله.

ـ سبقه الزّمن.

ـ تخلّف.

ـ لا يستطيع دخول ميادين المنافسة الحرّة.

ـ فقد مكانته.

الآمل في دائرة الممكن شخصية منافسة تجاه المأمول الذي رسم بشأنه خطة، ومن أهم ما يمكن أن يزيده منافسة أمام الغير مضاعفة الجهد والوقت مع مراعاة السّلامة من أجل نفسه وأمله؛ فالطالب الآمل فوزا بمرتبة الشرف الأولى سيجد نفسه مع آخرين لهم ذات المأمول، ولهذا ليس له إلّا مضاعفة الوقت وحُسن إدارته، مع مراعاة الغذاء المناسب، والنوم المريح، والانتباه المركّز.

وهنا يتضح الفارق بين الأمل والطموح من حيث أنّ مأمول الآمل: تصدّر المتصدّرين، أمّا طموح الطّامح: أن يكون ناجحا، ولذا فهما يلتقيان في المطلب (النجاح) ولا يلتقيان في المنافسة من أجل الصدارة. وهذا يعني: أنّ كلّا منهما متحدّ لما هو فيه من أجل مستقبل منشود (مرغوب)، غير أنّ الطموح متحدٍ للفشل، أمّا الآمل فمنافس للناجحين؛ فهو الواثق من قراره وإمكاناته أنّه سيبلغ مأموله ويناله.

ولهذا الآمل لا يقدّم التنازلات إلّا من أجل المأمول نيلا، دون أن تكون تنازلاته على حساب الغير، وكذلك الطموح لا يقدّم تنازلاته إلّا من أجل المطموح فيه، ولكن تنازلاته قد تكون على حساب الغير.

المأمول

المأمول هو الباعث الذي ولّده الأمل فكرة حتى أصبح شيئا يتم بلوغه ونيله؛ ولأنّه مولود الفكر فهو للآملين مثل الوليد للآباء رعاية وعناية، وحرصا وعملا جادا. تحشّد الإمكانات وتبذل الجهود من أجل بلوغه ثمّ نيله والحفاظ عليه حفاظا على مولود من الأصلاب، دون أن يوقف الإنجاب من بعده؛ فالابن دائما في حاجة لأخوة، والآباء في حاجة للأبناء رحمة، وهكذا المأمول يتولّد من الفكرة والمشاهد مأمولا من بعده مأمول.

المأمول لا ينجبه الانتظار، بل ينجبه الفكر المنظّم والعمل الجاد؛ فالانتظار لا عمل، ولا عمل يساوي نتيجة صفرية؛ ولهذا فالمأمول لم يكن المنتظر، بل المتوقّع كما هو. فإذا جعلنا المأمول منتظرا؛ فلا داعي للعمل؛ فهو المتوقّع الذي حُددت الأهداف من أجله، وَوَضَحت الأغراض والغايات من ورائه، ورسمت الخطط والاستراتيجيات المؤدية إلى نيله.

ولأنّ المأمول لم يكن المنتظر؛ فهو أيضا لم يكن المرتجى؛ فالمرتجى لا سبيل لبلوغه إلّا من خلال الغير، الذي قد لا يستجيب لمطلب ولو توسّل المتوسّل، أمّا المأمول فلا انتظار ولا توسّل إلّا لله تعالى، إنّه الاعتماد على النفس والإمكانات المتاحة والتي يمكن أن تتاح إرادة ورغبة وضرورة.

والمأمول لم يكن الجهد المبذول، بل ما يبذل من الجهد من أجل نيله (إنّه المترتب على الجهد الذي أنتجه شيئا ملموسا) فالفلّاح على سبيل المثال: يحرث ويزرع وأمل الحصاد لا يفارقه، ولسائل أن يسأل:

لم لا يكون الحصاد مأمولا؟

أقول: الحصاد جهد يبذل، وهو أمل الفلاح، أمّا مأموله فهو أن ينال إنتاجا وافرا. فإن كان وفيرا نال مأموله، وإن كان غير ذلك فسيكون موسمه درسا له لمواسم أكثر أملا.

وعليه:

الأمل يحرّك الآمل ويدفعه، ونيل المأمول يطمئنه ويحفّزه على المزيد؛ فالآمل لا يقنط، والحياة الدنيا بالنسبة إليه مدرسة يجب أن يكون فيها ناجحا ومتميّزا إن أراد أملا أعظم في حياة أعظم.

المأمول وإن صعب نيله؛ فنيله ممكن، شريطة القيام بعملٍ موجبٍ، مع صبر على بذل الجهد والمثابرة، ثمّ تحدّي الفشل، مع العلم أنّ الفشل لا يكون إلّا بأيدي اليائسين، ولا يكون إلّا عن إرادة منهزمة لشخصية لا تقبل التحدّي، وهذا لا يعني: أنّ المأمول صعب المنال، بل يعني فقدان العزيمة (تصميما وإصرارا) على حياة أفضل، والعزيمة لا تمنح، ولا تشترى، بل هي تستمدّ من العقل الذي يفكّر في أمره وتحسين أحواله وضمان مستقبله، وهذه لا تكون إلّا

بيد العقلاء. فمن له عقل لا يليق به ألا يستثمره ويوظفه فيما يفيد شخصه ومن لهم علاقة به؛ فالذي اختار أمله غزو الفضاء، قد اختار الصّعب تحدّ، فبلغ الفضاء غزوا ومأمولا، ومن ثم ثبت لنا أنّ الصّعب لا يصمد أمام المتحدّين، أي: إنَّ الصّعاب لا تستسلم إلّا على أيدي المتحدّين؛ ولذا فلم لا نتحدّى؟

المأمول مع أنَّه باعث خارجي (خارج الفكرة) لكنّه لا يكون إلّا خلقا أي: خلق (الشيء ولا شيء)، أو أنّ يكون مولود الفكرة؛ فعقل الإنسان لو لم يفكّر ما أنتج الفكرة، ولو لم يكن مستبصرا ما ولّد من المشاهد فكرة.

المأمول يتعدّد ويتنوّع وفقا للحاجة والمطلب، وهو لا يُبلغ إلّا عن إرادة وجهد يبذل مع القبول بدفع الثمن، وقد يكون المأمول خاصّا وفقا للحاجة والشهوة وهو كثير، وقد يكون عامّا كونه مأمولا عظيما، وكلّ مأمول عام فيه منافسة، وقد يكون عليه الصراع، فرئاسة الدّولة مأمولة عند الكثيرين، والمنافسة الحرّة وفقا للدستور وحدها الحاسمة، ولكن لا يمكن أن يكون رئيس للبلد إلّا فائزا واحدا. ومع ذلك البعض قد يحترم نتائج الدستور والبعض قد لا يحترمها؛ فتنقلب المنافسة الحرّة إلى صراع دام، وهنا تكمن العلّة، وقد تحدث الانقلابات على الدساتير كرها، وهذه في معظمها أساليب لا تُحترم عند أهل الثقافة.

ولأنّ الانقلابات لا تكون إلّا كرها؛ إذ لا دستور، فهي تحمل عناصر فنائها فيها ممّا يجعل بعد كلّ انقلاب انقلابات.

والتعليم مثال آخر على المأمول العام: فهو مع أنَّه عامّ، لكنّه لا يكون على حساب أحد، وفيه يتنافس المتنافسون.

أمّا الفوز بالجنة فيعد المثال الأعظم للمأمول العام، ومع أنَّها مأمول عام، لكنّ بلوغها والفوز فيها لا يكون إلّا خاصّا؛ لأنّ نيلها نيل مكانة، مكانة تستوعب الجميع دون أن يكون أحد على حساب آخر. وهنا لا مقارنة بين مكانة رئاسة الدولة التي لا تشغل إلّا مفردة، ومكانة أعظم تستوعب ما خلق مأوى ونعيم ومتعة، قال تعالى: {يَا قَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ}[7].

ولهذا فالجنّة مأمول ولم تكن أملا، فالأمل مولود الفكرة، أمّا الجنة فخلق الخالق، وهي متاحة لمن يشاء ويعمل من أجل نفسه ونيلها فوزا مع الفائزين.

ومع أنَّ المأمول عام (الجنة)، ولكن لا يتم نيله إلّا بجهد خاصّ؛ لأنّ العلاقة بين المخلوق المجازَى بها والخالق المجازي بها علاقة خاصّة.

---

[7] الأنعام 135.

أمّا إذا كان المأمول عامّا والمطلب أيضا عامّا؛ فالمثال الذي يمكن سوقه افتراضا: أنّ دولة ما قد تمّ احتلالها من الأجنبي، ففي هذه الحالة لن يكون لمواطنيها مأمول إلّا تحريرها، ومن هنا يصبح المأمول العام مطلبا عاما؛ ولا أمل للشعب كلّه إلّا تحرير وطنهم، فيعملون كلّ ما هو ممكن حتى يتحرر كما أملوه مأمولا.

وهناك ما يماثل هذه الأمثلة، من حيث إنَّ المأمول جمعيا والنوايا فردية؛ كالقيام بفريضة الحج المأمولة من المسلمين، غير أنَّ تأديتها لا يؤسّس إلّا على النيّة، وهذه لا تكون إلّا فردية وكأنَّ الفرد حاج بمفرده، فينوي بنفسه حجّا، ثمّ يتقدّم مع الحجيج لأداء الأركان الأخرى، ومن هنا يندمج الأنا في الذات العامّة.

ولسائل أن يسأل:

أين الأمل في هذه المثال؟

أقول: الأمل: تلك الحيويّة التي هيأت المسلم لإعداد العدّة استعدادا وتأهبا حتى قام بأعمال الحج وناله من بعد غاية.

والآمل: المسلم المقدِم على أداء فريضة الحج.

أمّا المأمول: القيام بالفريضة على أتم وجه.

فالحج مع أنّه مأمول عظيم لدى المسلمين؛ لكنّه يعد عملا يجب القيام به من أجل مأمول أعظم، (الجنة) حيث النعيم الدّائم.

أي: إنّ المسلمين يميزون بين النعمة والنعيم؛ فهم يعرفون أنّ الدنيا بيت النعم المتعددة والمتنوّعة، وأنّ الآخرة بيت النعيم الدّائم. وللتمييز: النعم فيها الأذواق تتعدد وتختلف وتنقطع، أمّا النعيم لذة دائمة لا تنقطّع، ولا يختلف عليها ولا يتخالف. أي: إنّ الجنة فيها النعيم بذاته، أمّا الدنيا فيها النعم تتحوّل فضلات. وهنا الفرق كبير بين النعيم لذة لا تنقطع ولا تنقص ولا تنتهي ولا يتعفّن نعيمها وما يترك زبالة تشمئز الأنفس من رائحتها النتنة.

وعليه فإنّ المأمول المطلق: الفوز بنعيم الجنّة، أمّا ما دونه فهي مأمولات في دائرة الممكن؛ ولهذا فالمأمول هو: المقصود في ذاته دون سواه، ليتم نيله استجابة لأمل عن رغبة، سواء أكان نسبيا أم مطلقا.

المأمول لا يكون إلّا معلوما، والقصد إليه ثابتا، وإن أخذ العمر كلّه، فالمهم أن يبلغ وينال؛ فساعة نيلة وكأنّه لم يقض ما انقضى من وقتٍ، وساعة نيله وكأنّه كان غير متوقٍّ بالرّغم من توقّعه.

وعليه فالمأمول:

ـ لم يكن خيالا مجرّدا.

ـ نتاج العمل الجاد.

ـ يتم نيله والفوز به.

ـ يفتح آفاق جديدة أمام الآملين.

وعلى الآملين:

ـ التفكير الجاد؛ حتى يولّدوا من الفكرة فكرة.

ـ التعلّم؛ حتى يتعلّموا كيف يتعلّمون.

ـ أنْ يرفضوا؛ حتى لا يكون الرّفض غاية.

ـ أنْ يتقبّلوا دون أن يكون التقبّل مذلّة.

ـ أن يحترموا حتى لا يصبح الاحترام جبنا.

ـ أنْ يتفهّموا ظروف الغير دون أن يجعلوا مأمولاتهم على حسابهم.

ـ أن يتكلّموا دون أن يصبح الكلام ثرثرة.

ـ أن يستوعبوا قبل أن تخلط الأوراق.

ـ أن يحاججوا كي لا تتسع دوائر التُبّع.

الأمل ليس رجاء:

الأمل يصنع مكانة للآملين؛ لأنَّ علاقته بالمستقبل علاقة اتصال لا انقطاع، أمّا الرّجاء فيه من التوسّل ما فيه، وأصحابه يميلون للتبعية ولا يملون إلى الاعتماد على الأنا وحسن العلاقة النديّة مع الغير، وهذا ما يسنّه الآملين لأنفسهم.

فالأمل لم يكن ذلك المنتظر الذي يرجوه أهل الرّجاء توسّلا، بل هو التطلّع للمأمول رغبة وإرادة؛ فالآمل لا حاجة ولا وقت له للتوسّل، وقته استثمار وحُسن إدارة مع الحرص على تبوء مقاعد رفعة الشأن. أمّا الذي جعل نفسه جالسا على مقاعد الرّجاء فليس له إلّا التوسّل والقبول بالقليل.

الأمل لم يكن ذلك المستقبل الذي ينتظره أهل الرّجاء كما ينتظروا الشروق والغروب وبداية الشهر ونهايته وكأنّه مرتب ومعاش، بل المستقبل عند أهل الأمل يستوجب الإقدام عليه عملا وإنتاجا. ومن يختار الجلوس على مقاعد أهل الرّجاء فليس له إلّا الاتكال على الغير، ومن يتبوأ مناصب الأمل لا وقت له للالتفات.

ومن ثمّ فأهل الرّجاء وإن تعددوا فهم فرادى، أمّا أهل الأمل فهم على مستويات منها:

ـ المستوى الفردي: عندما يكون المأمول متعلّقا بشخص واحد.

ـ المستوى الجماعي: عندما يكون المأمول متعلّقا بأكثر من شخص واحد.

ـ المستوى الشعبي: عندما يكون المأمول عاما؛ فالشعوب تهزم عندما لا يكون للشعب أمل، وفي المقابل تنتصر الشعوب بآمالها.

الأمل ليس أمنية:

الأمنية: فكرة منكمشة في الصدور لا تشاهد ولا تلاحظ ولا تدرك إلّا من قبل صاحبها الذي تثيره الشّهوة والمطلب، أمّا الأمل: فهو الفكرة الممتدّة تخطيطا وتدبّرا وعملا مع وضوح الأهداف والغاية المأمولة.

فالمتمني يتمنى ما يشاء، ولكن قد يظل في أمنياته حتى الموت، فالجاهل الذي قضى من العمر عتيّا يتمنى لو كان متعلّما، ولكن العجلة قد لا تساعده على الإدارة إلى الخلف؛ فيموت في أمنيته جاهلا؛ ذلك لأنّ أمنيته قد ارتبطت بالماضي (يا ليتني كنت متعلما) وهنا لا إمكانية لإدارة العجلة إلى الورى. وفي المقابل هناك من في صباه: يتمنى التعليم، ولكنّه لا يقدم عليه؛ فيموت هو الآخر في أمنيته جاهلا؛ ولهذا فالأماني تصاحب المتمنين حتى الموت.

أمّا من أراد الحياة نزهة وتقدّم ورفعة؛ فعليه بتجاوز الأمنيات بالأعمال أملا.

ومن هنا ترتبط الأمنيات بالرّغبة وما يشبع الشهوة مع اللا مبالاة، ومع ذلك فقد تكون الأمنية خيّرة (صفاء نيّة) وقد تكون (تشفٍّ في الغير) وذلك عندما تكون النفس حاقدة ومكيدة وماكرة؛ وفي كلتا الحالتين تظل الأمنية ملازمة للمتمني حتى يتخلّص منها عملا يأمله، أو أنّها ستكون المودِّعة له موتا، دون أن يترك

أصحابها من خلفهم عملا يذكرون به؛ ولذا لا يمكن أن يكون الجهل والمرض أملا، ولا أمنية، وبالتالي: لا مستقبل للجهل وإن تمنى من تمنى حسدا أن يكون الجهل متوّجا بين النّاس؛ فالعالم كلّه يتنافس علما وتقنية وعملا مربحا؛ وهذه ميادين الأمل التي لا مجال فيها لمنافسة المتمنين.

إذن: الأمنية تخمين في دائرة الممكن بلا جهد منتج، وهذا ما يرفضه الآمل ولا يقبل أن يكون عليه؛ فالأمل بالنسبة إلى الآمل رغبة مرضية نافعة مع جهد متجاوز للأمنيات؛ من أجل نيل المكانة المأمولة قمّة.

إذن: الأمل يُصنع، والأمنية لا تُصنع؛ ذلك لأنّ الأمل يرتبط بالمستقبل المأمول فيتحقّق، أمّا الأمنية فلا علاقة لها بالمحيط الخارجي؛ فهي لا تزيد عن أنّها مضمور مختنق في الحيز الصّدري. فعلى سبيل المثال: إذا كان أمل الإنسان الحصول على فرصة عمل يحصل عليه، وإذا كان أمله تعليما تعلّم، وحتى إن أراد بلوغ الجنّة بلغها، ولكن كلّ ذلك لا يتحقّق إلّا عملٍ جادٍ؛ ولهذا المتسولون بلا أمل، والجالسون على الأرصفة بطالة بلا أمل، وهكذا الفاشلون بلا أمل، وفي المقابل المتقدّمون والمتطوّرون والعلماء لهم من الآمال ما لهم. فهم متأصّلون في آمالهم ومتابعون لكلّ ما يمكن أن ييسر لهم طي المسافات ومسابقة الزّمن من أجل نيل ما يأملون.

ولهذا؛ فالأمل لم يكن أمنية، ولا رغبة وإن حفّزته الرّغبة عملا، ولم يكن الغاية في ذاتها، بل إنّه أعظم أهميّة؛ فهو لا يكون إلّا عن تدبّر لغاية مأمولة قابلة لأن تنال، ولكن بعد توافر:

ـ العزيمة: بقصدٍ يمكّن من نيل المأمول.

ـ الرّغبة: كونها حيويّة الامتداد تجاه المأمول.

ـ الإرادة: بلا ضغوط خارجية حيث لا إكراه.

ـ المقدرة: حيث لا عجز ولا قصور.

ـ التهيؤ: حيث الوثوق في المطلب والرّغبة والمقدرة دون يأس.

ـ الاستعداد: نفسيّا وبدنيّا مع وفرة الإمكانات أو شيء منها.

ـ التأهّب: حيث الفطنة والانتباه لما يجب في وقته بلا تأخير.

ـ الفعل: حيت القناعة التامة بالعمل الممارس أملا.

ـ تحدّي الصّعاب: حيث لا قبول باليأس والاستسلام ولا كلل من العمل.

الإصرار: حيث التيقّن من بلوغ المأمول ونيله.

إذن: فمن يأمل شيئا ويعمل من أجله، يناله أو يفوز به شيئا ملموسا، أمّا الذين لا أمل لهم سينتهون ولا شيء؛ ولهذا فمن يريد أن يكون له شأن فعليه أن يصنع لنفسه أملا.

وعليه: فالفرق بَيّنٌ بين الأمل والأمنية؛ فالأمل يستوجب عملا، وتخطيطا، ويشبع حاجة، ويحدث النُقلة، ويؤدّي إلى بلوغ المأمول.

أمّا الأمنية؛ فهي كامنة لا تولد مشاهدا، ولا تتطلّب عملا، وحتى اليائسين لهم من الأمنيات ما لهم. ومع ذلك تأخذ الأمنية صورتين:

الصورة الأولى، خيّرة: فيها محبّة النّاس إذ لا كره ولا كيد ولا مكر بالغير، وقد تأخذ الأمنية الخيرة أيضا صفة الدّعاء الذي هو عبادة، ومع ذلك أمنية في الصّدر (حيث لا عمل عليها) كشخص في قبوٍ ليس له إلّا القليل من الأكسجين.

الصورة الثانية، تشفٍّ: وهذه تعكس واقع الشخصية الأنانية التي لا يتّسع صدرها إلّا لأناتها، ومن ثم تضيق أمام الآخرين ولو كانوا ذوي رحم.

الأمل ليس حلم:

الحلم لا يزيد عن كونه تهيؤات تبدو للحالم وكأنّها حقائق في الوقت الذي هي ليست كذلك، وهي ترتبط بالخيال البعيد عن الواقع والممكن؛ ولهذا أصحابها يعيشون الوهم نزهة في الخيال؛ فهم يكتفون بالتصوّرات الفاقدة للحجّة والبرهان والدليل.

أمّا الأمل لا يضيع الوقت في مساعيه، فهو يقود الآملين بوافر العزيمة إلى مأمول مرغوب، ولكن في دائرة الممكن لا يبلغ إلّا ببذل الجهد، ووفق أهداف قابلة للإنجاز ومأمولات لا تلد إلّا في المستقبل المأمول.

ومن ثم فالحلم لا يزيد عن كونه حلم، ومن حقّ الواهمين أن يحلموا وفقا لتهيّوآتهم (مقابر الوقت) فما يحلم به الحالمون وما يتمناه المتمنون لا يمكن أن يأتي إليهم. وفي المقابل ما يأمله الآملون يسعون إليه مثابرة حتى يلد بين أيديهم مأمول من بعد مأمول. أي: ما تحلم به النفس وتتمناه لا يأتي إليها إلّا حلما وأمنية، ولكن ما تأمله تسعى إليه حتى تبلغه ومن ثم تناه مأمولا.

الحالمون يتكلّمون أكثر مما يعملون، وفي المقابل الآملون ليس لديهم وقت للكلام إلا فيما يجب. الحالمون اتكاليون يعيشون يومهم حلما ليس إلّا، والآملون يقضون الوقت عملا منتجا.

ولأنّ لكل جهد مقابل حتى ولو كان حلما، فالمقابل للحالمين وهما تامّا، أمّا المقابل لجهد الآملين مقدّر بما يأملونه رفعة من بعدها رفعة.

ولأنّ لكلّ جهد مقابل يتقاضاه، فالمقابل يمكن أن يكون عاجلا ويمكن أن يكون آجلا، فالعاجل منه وقتي ولا تأخير، فالبعض لا يرى شيئا غيره، والبعض الآخر أمله لا ينقطع ولا

ينفصل، ولهذا فهو يعمل وفقا لما يشبع حاجاته الآنية، ويعمل وفقا لما يشبع حاجاته الرّوحية؛ فالإنسان بإمكانه أن يأكل من عرق جبينه ومما يسهم به إنتاجا علميا ومعرفيا، وفي الوقت ذاته يعمل من أجل بلوغ المأمول العظيم (الجنّة).

ولهذا ينطبق على البعض الذي لم ير إلّا ما يأمله عملا دنيويا قول الله تعالى: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ}[8]؛ فالذي تلهه الدنيا وفقا لأمله المقتصر عليها يمكن له أن يعيش اللهو والمتعة الدنيويّة، ولكن إشارات الاستغراب والتعجّب ستكتب على وجهه وظهره، ولن تمحى بأيّة وسيلة ولو كانت نارا إلّا نار جهنم، فالحمد لله العدل ربّ العالمين.

وتبيّن هذه الآية الكريمة صورة استهزائية بمن يلهو في أمله عن عبادة خالقه وطاعته أمرا ونهيا وتجنّبا، ولأنّها تحمل في مضمونها صورة استهزائية؛ فهي تحمل تهديدا لمن يلهه الأمل الدنيوي عن الأمل الأخروي الذي لا يتطلّب إلّا عملا ميسّرا دون أن يكون على حساب العمل والجهد المبذول من أجل نيل المأمول القريب.

الأمل ليس تفاؤلا:

التفاؤل لا يمكن وضعه في مواجهة مع شيء إلّا مع التشاؤم، ومن هذه الزاوية ينظر إليه موجبا، ولكن بمقارنته مع الأمل نعرف

[8] الحجر 3.

أنّ بينهما فارق كبير؛ فالتفاؤل كونه شعورا يتجاوز بأصحابه الرّكون إلى منازل الإحباط والتشاؤم فهو موجب، ولكنّ أصحابه لا يقدمون على العمل إلّا في دائرة الممكن المتوقّع الموجب، أمّا غير المتوقّع فلا مكان فيه للمتفائلين.

فالمتفائل يتفاءل خيرا ويقف عنده؛ إذ لا إمكانية له أن يتجاوز تفاؤله عملا من أجل بلوغ ما يمكّن من نيل الخير في ذاته. وبمقارنة مع الآمل؛ فالآمل لا يقبل الانتظار؛ فهو متى ما اكتشف خيرا سعى إليه عملا.

ولأنَّ التفاؤل تفكير لا يتجاوز دائرة المتوقّع الموجب، فهو قاصر إذا ما قورن بالأمل الذي يتجاوزها إلى دائرة غير المتوقّع حتى بلوغ الخوارق.

المتفائل لا يرى إلّا موجبا، وكأنّ الحياة لا سالب فيها، أو وكأن القضية التي ينظر إليها غير محتوية لسالب ولو كان ضمنيا. أمّا الآمل مع أنَّه ذا شخصية متحدّيه، لكنّه حذر، لا يقدم على شيء إلّا عن دراية، ومع ذلك فالكمال لله وحده.

والمتفائل كثيرا ما يجد نفسه في حالة من الاستغراب والتعجّب؛ لأنّه رسم الحياة وكأنها تفاؤل، في الوقت الذي لم تكن فيه كذلك، ومن ثمّ بين الحينة والحينة يقع في المحذور الذي قلّما يقع فيه الآمل.

إذن: الإنسان لا ينبغي أن يجعل تفكيره على التفاؤل دائما، أي: لا ينبغي أن يحرم نفسه منه، والأمر الحاسم في ذلك (الموضوعية) التي تتطلّب معلومات وافرة من مصادر صادقة، وتحليلا وفقا لمتغيراتها المتداخلة والمستقلة، دون أن يكون للعاطفة رأي فيها، وفي المقابل لا ينبغي أن يكون الإنسان متشائما؛ فالتشاؤم مهنة اليائسين والقانطين، وهاتين القيمتين السالبتين لا يمكن أن يكونا مفردتين في قواميس الآملين.

وعليه:

فالأمل لا يكون نتاجا إلّا عن تدبّر حسن، والتفاؤل في كثير من الأحيان يلتصق بالعاطفة التي فيها ينصب الفخ وفي كلّ المسارب؛ ولهذا فمفاتيح التفاؤل في معظمها تصديق موجب، وهنا تكمن العلّة. أمّا مفاتيح الأمل وعي بما هو آتٍ قبل إتيانه عن بيّنة. أي: إنّ الأمل انفتاح على مأمول رصدت له الإمكانات وحشّدت له القوّة الممكنة مع أخذ الحيطة والحذر. وفي المقابل التفاؤل انفتاح على المتفائل به ولا حيطة ولا حذر.

الأمل ليس غاية:

الغاية: هي ذلك الشيء البعيد الممكّن من نيل المأمول، وهي تُبلغ عملا وجهدا يبذل في سبيل الإنتاج وقبول التحدّي وتجاوز الصّعاب بعد مغالبتها بأهداف تنجز وأغراض تتحقّق.

والغاية مع أنّها تُبلغ لكنّها لا تدرك إلّا من قِبل صاحبها الذي يأمل بلوغها؛ فهي لم تكن هدف مشاهد، بل هي ذلك المجرّد الذي يدرك ولا يشاهد، وهنا يتماثل مفهومها مع مفهوم الأمل الذي هو الآخر يدرك ولا يشاهد.

والغاية لم تكن هي المأمولة، بل هي ما يمكّن من بلوغ المأمول، أي: إنَّ المأمول هو ذلك الشيء المراد نيله أو الفوز به، أمّا الغاية فهي الكامنة في العقول والصدور، والتي في الغالب لا يعلن عنها حتى نيل المأمول الذي كان في الأنفس مجرّد غاية وأمل.

وعلينا أنْ نميّز بين الأمل والغاية: فالأمل حيويّة لا يتوقف نشاطا عند أعتاب المأمول كما هو حال الغاية، بل الأمل سيظل أملا حتى نيل المأمول تامّا. أي: الغاية تمكّن أصحابها بلوغ المأمول، ولكنّها لا تتمدد لنيله؛ مع أنّها تقف عند أعتابه؛ فعلى سبيل المثال: لو كنت أميّا ورغبت التعلّم؛ فهل التعلّم غاية في ذاته أم هناك شيء آخر يكمن ورائه؟ فإن كان لك شيء من ورائه؛ فلا يكون شيئا إلّا أملا في مأمول، كتحسين المستوى المادّي، والارتقاء في مجالات الوظيفة، أو نيل مراكز متقدّمة في إدارة الشؤون الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية وطنيا ودوليا. وكذلك إنْ كانت غايتك التعليم في ذاته؛ فالتعليم في ذاته لا يكون إلّا فشلا، أي: الغاية تمكّنك من

الوصول إلى المدرسة، ولكنّ لا علاقة لها بالنجاح؛ فالنجاح مأمول لا يتحقق إلّا أملا.

فالغايات والآمال لا تكون كالأهداف التي تحدّد بوضوح، بل هي في عقل وضمير الضامر والآمل، الذي وحده يعرف ماذا يريد غاية؟ وماذا يريد أملا؟

فالباحث العلمي على سبيل المثال: لابدّ له أن يحدّد أهداف بحثه أوّل بأوّل، حتى يتمّ اعتمادها من قِبل الأستاذ المشرف والتصديق عليها من لجنة القبول، أمّا أغراض وغايات وآمال الباحث فلا يسأل عنها؛ فهي تخصّه وحده، ولا تكون إلّا كامنة.

ولتبيان ذلك وجب التمييز بين الغرض والغاية والأمل؛ فالغرض اشتهاء متأرجح بين الإقدام والاستمرار والتوقّف أو الانسحاب ممّا يجعل الغارِض غير قادرٍ على الصّمود.

والغاية حيّويّة ذهنية أو قلبية تحفّز على العمل وتمكّن من بلوغ المأمول ولكنّها لا تمكّن من نيله.

أمّا الأمل: فهو الحيويّة المثلى التي تمتلئ رغبة وحرصا على نيل المأمول تماما.

وللتوضيح أكثر أضرب المثال التالي: شخص له هدف التخرج من الجامعة، دخل الجامعة حتى تخرّج، إلى هنا قد أنجز

هدفه. غرضه أن يتحصّل على عمل؛ فتحصّل عليه؛ فحقّق غرضه. غايته أن يحسّن مستوى دخله؛ فتحسّن. أمله أن يصبح صاحب رأس مال فأصبح.

كلّ الذي سبق ذكره لا يخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، أمّا الخارج عن الدّائرة فسرّه علم غيب، لا يعلمه إلّا العليم المطلق الذي يعلم ما في الدّائرة وما في خارجها؛ ولهذا فالإنسان لا يمكنه معرفة سرّ التمدّد الكوني المتجاوزة لدائرة الممكن، ولكنّه يعلم أنّه يتمدّد: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}[9].

وعليه: فالهدف والغرض والغاية والأمل لا مكان لها إلّا في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، أمّا خارج الدائرة فهي أسرار لا يعلمها إلّا الله تعالى.

ولذا يفهم من الآية السابقة: أنّ ما اكتشفه علماء الفيزياء من تمدّد كوني، لا مفاجئة فيه لمن يعلم أنّ صفة الخالق هي الخلق بلا انقطاع؛ فهو الذي خلق الكون (السّماء والأرض)، وهو الذي خلق الأكوان (السّماوات والأراضين)، وهو الذي خلق التمدّد الكوني بلا انقطاع (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) وهو الذي بيده نهاية الكون:

---

[9] الذاريات 47.

{كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ}[10] وهو الخلّاق الذي خلقه لن يتوقّف، بل يزداد سرعة واتساعا.

فعلماء الفلك والفيزياء وكذلك المؤمنون بالرّغم من خلافهم على خَلقِ الكون، لكنّهم يتَفقون على أنّه لم يعد بعد بلوغ الغايات إلّا النّهاية التي لا يعلم ساعتها إلّا الله جلّ جلاله.

ومن ثمّ فالغاية لم تكن النّهاية كما يعتقد البعض؛ ذلك لأنّ الغاية من ورائها مأمول، أمّا النّهاية فمن ورائها العدم، أي: إنّ الغاية تُبلغ ليكون من بعدها المأمول بين اليدين قابل للتعامل معه حقيقة في ذاته وليس غاية؛ فالغاية دائما تكمن في الصدور والعقول، وهي تتطلّب حُسن تدبّر حتى تُبلغ، ومع ذلك لم يكن بلوغها في ذاته هو الغاية، بل الغاية تُمكِّن من بلوغ الشيء؛ ليكون من بعد بلوغه قابل لنيله أو قابل للنيل منه أو الفوز به بعد أن كان مجرّد أمل.

والغاية هي الأخرى قابلة للتجاوز، أي قابلة لتجاوزها بما هو مأمول، ولأنّ الغاية تُمكّن من بلوغ المأمول، فهي لم تكن المأمولة، ولكن كيف ينال المأمول؟ أو كيف ينال شيء منه؟، أو كيف يمكن أن يتمّ الغوص في أغواره؟ هنا يصبح الأمر حسب الجهد والأسلوب

[10] لأنبياء 104.

والمقدرة، وهو أيضا بعد أن يتمّ بلوغه غاية قابلة لأن تتجسّد في الشيء المشبع للحاجة أو الملبّي للرّغبة أو المقصد أو الطلب.

فالغاية ليست هي الشيء كما يظن البعض حتى يقال عنها (الغاية هي ذلك الشيء)، بل الغاية للمُشيء (الإنسان) فالغاية لا تزيد عن كونها ذلك الذي يضمره العقل البشري تجاه ذلك المأمول الذي يستوجب بَعد بلوغه غاية كيفية بها يتمّ التعامل معه أو التمكّن منه أخذا. ممّا يستوجب جهدا يبذل بعد بلوغ الغاية وهو التعامل مع المأمول كسبا وإشباعا للرغبة أو الشّهوة أو الحاجة المتنوّعة.

فعلى سبيل المثال: إذا كان للإنسان غاية محدّد وهي السّفر إلى دولة ما، وتحقّق له هذا السّفر ودخل إلى تلك الدّولة، فهنا تعد الغاية قد تمّ بلوغها، ولكن ما المقصود من ورائها؟ هل المقصد من ورائها هو العمل أم العلاج؟ أم مجرّد الإقامة والعيش هناك؟ فهذا الشيء لم يكن الغاية، بل هذا الشيء هو المأمول وهو المترتّب على بلوغ الغاية (بلوغ أراضي تلك الدّولة) ممّا يجعل لمن كانت له غاية السّفر إلى تلك الدّولة أن يفصح عن مأموله وأن يعمل عليه حتى يتمّ نيله أو الفوز به وفقا للجهد المبذول عملا منتجا. ولهذا؛ فالغاية لا تزيد عن كونها الكامنة في الصدور والعقول التي ترسم لمستقبلها مأمولات وتسعى إليها غاية تبلغ، ومن بعدها يتمّ نيل المأمول جهدا

مع قبول تحدّي الصّعاب وصبر لا يجعل في نفس صاحبه للملل مكانا ليركن إليه.

وعليه:

. الغاية تبلغ، والأمل يتمّ نيله مأمولا.

. الغايات يسبقها غرض وهي تسبق الأمل.

. الغاية مع أنّها في النفس وتحت سيطرة العقل، ولكن الشيء المراد بلوغه قد يكون بعيدا، ومع ذلك قوّة الغاية وتحفّز أصحابها يسرّع من طيي الهوة بين من يضمر في نفسه غاية والشيء المراد بلوغه؛ ليصبح إجابة مشبعة لأملٍ سابق.

. بلوغ الغاية يُمكّن من فسح الطريق أمام الآمل وأمله في نيل المأمول.

. الغاية تُبلغ ولكنّها لم تكن في ذاتها شيء، بل الغاية بلوغ الشّيء ليكون من بعد بلوغه عمل يجعل نيل المأمول الذي تمّ بلوغه ميسّرا وفقا لأملٍ سابقٍ؛ ولهذا فالشيء يتم نيله أو أخذه، أمّا الغاية فلا تؤخذ ولا يتمّ نيلها، بل نيل الشّيء لا يؤخذ إلّا من بعدها؛ فينبغي على الإنسان أن يولّد في نفسه غايات وفي عقله تدبّر، ثمّ يعمل حتى يتمّ نيل المأمول الذي لم يكن قبل نيله إلّا مجرّد أمل.

إذن: بلوغ الغايات ونيل المأمول يستوجب:

- وضوح الغاية والأمل.

- تخمين مع حُسن تدبّر.

- وعي بالمأمول.

- إمكانية بلوغ المأمول.

- قبول تحدّي الصّعاب.

- صبر لا إحباط من بعده.

- ثّقة لا شكّ يراودها.

- يقين لا حياد عنه.

- صمود وإن كانت الصّعاب تصاحبه مؤقّتا.

- ثبات ولا حياد عن تلك الأهداف الواضحة تجاه الغايات المراد بلوغها والآمال المأمول نيلها.

إذن: فعلى بني آدم أن يعملوا، وعليهم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقا لغايات يتمّ بلوغها، وآمال يتم نيلها.

الأمل ليس طموحا:

قيمة الخوف في الزمّن الآن تلفت الانتباه الفكري والعقلي لِما هو آتٍ دون شكّ في دائرة الممكن المتوقّع، كي لا يقع إذا بُذل الجهد الممكّن من تحقيق السكينة لتحلّ محلّ الخوف؛ فالأمل كونه

يرتبط بما هو أفضل وأجود وأنفع؛ لأنّه مكمن الطموحات التي فيها تتحسّن الأحوال وتحدث النُقلة من مستوى قيمي أدنى إلى مستوى قيمي أعلى. فمن يعمل في الزّمن الآن برؤية المستقبل، يجد نفسه قد أمّن لنفسه مستقبلا خاليا من التأزمات، ومن يغفل عن ذلك في زمنه الآن، يجد نفسه قاعدا مع القاعدين.

وعليه لولا الخوف في الزّمن الآن ما فكّر من فكّر في مستقبله، وما سعى وتطلّع وطمح فيما يحقّق به الأمن والسكينة، فالطموح مرحلة من مراحل الوعي الفكري والثقافي، فيها تمتدّ الذات من حيّز التمركز على ذاتها، إلى مجال التطلّع تجاه الآخر الذي له من الخصوصيات التي تميّزه عن غيره، وفقا لقدراته واستعداداته ومواهبه وإمكاناته وعلومه وثقافته وحضارته، ممّا يجعل الذات في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع قادرة على نيل كلّ ما من شأنه أن يحُقق لها الفوائد والمكاسب.

فالشخصية الطموحة تقترب صفاتها من صفات الشخصية التطلّعية التي تشغل منطقة وسطا بين الذاتية والموضوعية، وهي مجال النشاط الفكري والسلوكي المتميّز عن (الذاتية) والمتميّز عن (الموضوعية)، ولكنَّه في الوقت ذاته مكوّن مشترك بين مقوّمات

الذاتية ومقومات الموضوعية، ممّا جعله قاطعا مستقلا بذاته في خماسي تحليل القيم[11].

وعندما تقتصر رؤى الشخصية على مكوّنات الذات القيميّة، توصف بالذاتية، وعندما تستوعب تلك الرؤى وتستوعب إلى جانبها ما ينبغي أن تقوم به أو تفعله وتسلكه تجاه الآخرين، حينها توصف الشخصية في هذه الحالة بأنّها طموحة؛ إذ أنّها تتطلّع إلى ما هو أفضل وفقا لافتراضاتها المنطقية لِما هو متوقّع أو مفترض.

والعيب الذي قد يظهر على هذه الشخصية الطموحة، أنّه ليس كلّ مفترض أو مطموح فيه يظهر الحقيقة؛ فالمفترض أو المتوقّع المطموح فيه يتطلّب مبررات لإثبات حقيقته من عدمها، ولذا فإنَّ الأحكام التي ستثبته مؤجّلة، فإذا فعلتْ أو حكمتْ الشخصية الطموحة وفقا لافتراضاتها المسبقة؛ فقد تقع في الخطأ، ولذا فعليها أن تنتظر إلى أن تتبيّن حتى لا يقع الخطأ؛ فعلى سبيل المثال: القضية التي تقول:

كلّ من وقف بعرفات كُتبت له حجّة.

عبد الله وقف بعرفات.

إذن: عبد الله كُتبت له حجّة.

[11] عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص 38.

هذه قضية منطقية لا شكّ فيها، ولكنّها قد تكون قضية لا مصادق لها؛ ولذا يصبح الشكّ فيها، فإذا كان عبد الله قد وقف بعرفات في غير موسم الحجّ، وفي غير يوم عرفات، فلا تُكتب له الحجّة، وكذلك إذا كان عبد الله موظفا أو طبيبا أو حارسا أو بائعا، ووقف بعرفات في يوم عرفة، بهدف أداء مهام خدميّة فقط فلا تكتب له حجّة؛ وذلك لافتقاده مبررات أداء الفريضة، وهي أن يكون ضامرا للحجِّ، وقد أدّى ما سبق من فرائض قبل الوقوف بعرفات، حتى يصبح الوقوف بعرفات حقيقة لأداء ركن من أركان الحج؛ ولهذا الحوار المنطقي ينبغي ألا يقتصر على تبادل الحجج الوثائقية، بل يجب أن يحتوي أيضا على توفّر النيّة والرّغبة الصادقة في التواصل والترابط والتآخي، وأن تكون الأفعال المصاحبة تهدف إلى كسر القيد الذي يكبّل الإرادة.

وكذلك القضية التي تقول:

كلّ من آمن كُتبت له الجنّة

سعيد آمن

إذن: سعيد كُتبت له الجنّة

نقول:

نعم إنَّ الجنة لا تُكتب إلا لمؤمنٍ، ولكن من هو المؤمن؟

إنَّه الذي يخاف الله.

وهل كلّ المؤمنين يخافون الله؟

نقول:

أكثرهم لا يخافونه، ولهذا ليس دائما كلّ من آمن قد كُتبت له الجنّة. ولهذا فالأمل العظيم يمكّن منها، أمّا الطموح فليس بالضرورة؛ لأنّ الطّمح في ذاته لا يزيد عن كونه رغبة جامحة.

وعليه، فالإنسان الطموح هو في حالة تطلّعيّة، لأنّه في حالة نُقلة من التمركز على الذات إلى حالة الاتزان النفسي الذي يتفاعل مع قيم المجتمع وعاداته وأعرافه ومعتقداته، ثمَّ يتفاعل مع كلّ ما هو مفيد لدى الآخر.

إذن: الشخص الطموح يميل إلى ما يمكن أن يستفيد منه، وهنا الطُموح غير الأمل؛ لأنّ الطُموح يعرّض الطّامحين أحيانا إلى تقديم التنازلات من أجل الوصول إلى طموحاتهم، وفي المقابل الشخص الآمل صانع نفسه لا يميل إلا وجوبا.

ولذا في بعض الأحيان لا تفارق العاطفة طامحا، أمّا الأمل فيمكّن الآمل من السيطرة على نفسه؛ فعندما لا تسيطر العاطفة أمام العقل على الفعل والسّلوك بالتمام، يُفسح مجالا جديدا للعقل والنفس بأن يكون التفكير فيما يجب، ممّا يجعل النفس تسعى لِما

يُفترض أو تميل إليه، والميل هنا موجب، حيث التطلُّع للأفضل، الذي يحافظ على الهويّة والخصوصية، ويمتد من أجل أن يتعرّف على الجديد المفيد، ويسعى إلى الحصول عليه. وهذا لا يعني أنَّ كلّ ميل هو موجب، فعندما تميل الشخصية من حالة التمركز على الذات إلى حالة التخلي عن بعض من مكوناتها القيمية تصبح الشخصية على حالة من الانسحابية؛ فتوصف في هذه الحالة بالشخصية الانسحابية التي تتخلى عمّا يجب الأخذ به.

وعليه: فالتطلُّعية مرحلة من الوعي تُمكّن الذات من استيعاب دورها وما يجب أن تفعله مع الآخر، حتى لا يحلّ ما يخيف محلّ ما يجب.

ولأنَّ التطلّعية هي حالة وعي بالمحيط المعرفي والثقافي والحضاري، فهي تعد مرحلة نضج، به تتمكّن الشخصيّة المتطلّعة من الإلمام بالموضوع المشترك مع الغير كواقع لا مفرَّ من التعامل معه.

ولأنَّ (الذاتية) هي ما يدور من حوار بين الرغبات والمطالب، والحاجات والبواعث، والحقوق والواجبات والمسؤوليات، في حدود الدين والعرف والقيم السائدة على مستوى المجتمع أو الدولة، حيث ثبات الذات وتغيّر الأدوار وتنوع المواضيع، فإن التطلّعيّة هي درجة من الاعتراف بأنَّ للآخر رغبات ومطالب وحاجات وبواعث مشبعة، وحقوق وواجبات ومسؤوليات ينبغي أن تُقدّر وتحترم، وإن

لم تُقدَّر وتُحترم ستكون العواقب غير محمودة، ولذا فمن غير المنطقي أن يتمَّ تجاوزها أو الإغفال عنها؛ كي لا تُمسّ ولا تؤخذ بما هو على حسابها.

وللتمييز بين المستويات القيمية للشخصية نقول:

1 ـ الأنانية: معيارها الشخصانية (أنا كلّ شيء).

2 ـ الانسحابية: معيارها نفعي انسحابي (أنا أولا، وإلّا ..).

3 ـ الذاتية: معيارها العاطفة (نحن كلّ شيء).

4 ـ التطلُّعيّة: معيارها المنطق (حُجّة بحُجّة).

5 ـ الموضوعية: معيارها العقل (نحن سويّا).

وعليه: عندما يخاف الإنسان من المظالم، يتمسّك بالقيم والمعايير الاجتماعية التي تستنبط من الإطار المرجعي لمجتمع العاطفة، ويقدّر قيم الآخر ومعاييره، في هذه الحالة تعد ذاته في حالة تطلّعيّة، وعندما يتمسّك الإنسان بالقيم والمعايير الخيّرة بغض النظر عن مصادرها، تؤسّس أحكامه على الموضوعية، وتُعد معاييره إنسانية. وعندما تميل كفّة المعايير العامّة بمنطق على حساب كفّة المعايير الخاصّة، حينها تميل الشخصية إلى الموضوعية فتوصف بالتطلّعيّة، وعندما تميل إلى ذلك دون حُجّة ولا حقيقة، تصبح الشخصية في حالة ميلان إلى الأنانية.

ومع أنَّ المنطق يَفترض أنَّ النّاس متساوون في الحقوق والواجبات والمسؤوليات، إلّا أنَّ الواقع قد يُثبت غير ذلك، حيث نجد البعض من بني الإنسان في حالة إشباع، والبعض في حالة عوز، والبعض في حالة ادّخار بعد الإشباع، وآخر في حالة شُح، والبعض الآخر في حالة إيثار حيث يُقدِّم من هو في حاجة أو من هو أفضل على من هو أقل، ولذا فالشخصيّة المؤثرة، هي الشخصية المنطقية التي تميّز بين ما يجب وما لا يجب، وعندما تحتكم بالمنطق تقول الحقّ وتفعل صوابا مصداقا لقول الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[12].

ومع ذلك فالشخصية الطموحة قد تقتصر أهدافها وغاياتها على الظرف الآني، في سبيل أن تمتدّ إلى ما هو مستقبلي، فتميل إلى المغالبة، مغالبة ما يفيد في الزّمن الآن على ما يجب أن يكون.

إذن: عندما تخاف الشخصية، تستشعر بأنّها في حاجة إلى المزيد المعرفي والعلمي والتقني والمزيد العلائقي الذي به تستأمن وتؤمّن مستقبلها، وهي في هذه الحالة ستمتدّ إلى مرحلة ما بعد الذاتية، فتصبح تطلُّعيّة على درجة عالية من المزيد المعرفي الممكّن من إحلال السكينة محلّ الخوف، ولكن في هذه المرحلة قد يجد الطامح نفسه في موقف بين تطلّع لما يجب وقبول الأمر الواقع.

---

[12] . سورة الحشر، الآية 9.

ومع أنَّ الطموح استشرافي، لكنّه قد يكون على حساب الغير، أي: يمكن للطامحين أن يضحوا بالغير ليكونوا على حساب وجودهم. وهذا ما ليس بمأمول عند آمل.

ومع أنَّ كلّا من الآمل والطّامح لا يقبلان وجود سقف يحدّ من التفكير، ولكن رؤى الآملين مصنّفة ومقنّنة، أمّا رؤى الطامحين فهي في بعض الأحيان تلتقي مع رؤى الحالمين والواهمين. فعلى سبيل المثال: إذا كان طموح الطّامح تبوّء منصب في مؤسسات الدّولة؛ فمن أجل تبوئه قد يتآمر مع المتآمرين وقد يخون، وهذه ليست من شيم الآملين الذين ليس لهم وقت للضياع.

الأمل ليس مستحيلا:

الأمل حيويّة بشرية تنبعث طاقة في الفكر المتأمّل أحواله، وما يدور من حوله، وما يجب أن يقدم عليه تجاه ما يتعلّق به من أمر، وهو لا يكون إلّا في دائرة الممكن، أمّا المستحيل ما ليس بيد البشر، وغير ممكن الحدوث على أيديهم؛ فلا يُفعل من قِبلهم، ولا إمكانية لبلوغه، ولكن لو لم يكن ما كنّا، ولأنّه كائن؛ فلا إمكانية لتجاوزه، ولا إمكانية للقفز عليه وكأنّه لا وجود. إنّه الحائل بين الممكن النّسبي (كلّ ما هو بيد المخلوق) والممكن المطلق الذي لا وجود للصّفر فيه وهو لا يكون إلّا بيد الخالق.

فالمستحيل لا يكون إلّا حيث لا تكون الإمكانية، وهو ليس بالصّعب؛ فالصّعب يمكن بلوغه في دائرة الممكن غير المتوقّع، أمّا المستحيل؛ فلا إمكانية حيث وجود الصّفر بداية ونهاية.

والمستحيل لا يُوجِدُ نفسه ولا يخلقها، بل لا بدّ من خالق من ورائه، إنّه القوّة التي لا تكون إلّا بيد القوي، الذي لا يُفعل المستحيل إلّا بأمره. ومع ذلك؛ فالمستحيل أمر في ذاته، حيث يقف المخلوق عند حدّ لا يدرك من بعده شيء سوى الوجود الذي لا يكون إلّا بفعل الفاعل الذي جعله وجودا؛ فالفاعل لو لم تكن بيده القوّة المطلقة ما كان المستحيل فعلا مستحيلا.

ولهذا؛ فلا مجال لأملٍ إلّا في دائرة الممكن، ولا إمكانية لنيل مأمولٍ إلّا فيها، وهذه ما دون المستحيل والمعجز، حتى وإن كان المأمول المتحقّق نيله خارقة من الخوارق؛ فالخوارق لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

ومن ثمّ كان المستحيل كونا متسعا ومتسارعا في تمدّده، وكان الأمل يلاحقه بغاية معرفته مأمولا، ومع ذلك لازال قاصرا عن معرفته بالرّغم من الأمل العريض.

فالكون لو لم يكن عملا مستحيلا ما كان انفجاره أو فتقه عظيما، ومع أنَّ المستحيل شيء يتحقّق، لكنّه لا يوصف بشيء، أي: لو لم يكن المستحيل شيئا ما تحدّثنا عنه، ولأنّه شيء ونتحدث

عنه؛ فهو يشغلنا حيرة تدفعنا تجاه معرفة مَن ورائه؛ فنحن نقف عاجزين أمام توصيف المستحيل الذي مهما تدبّرنا أمره؛ فليس لنا إلّا التسليم، الذي يقرّ بوجود واجد له، ولا يكون إلّا أعظم منه؛ ومن ثمّ؛ فلا يوجد شيء، أو يخلق لو لم يكن من ورائه خالق.

ومن هنا، افترق البعض القليل من النّاس مع البعض العظيم؛ فالقليل منهم وقف عند معجزة المستحيل في ذاته، أمّا معظم النّاس؛ فلا يؤمنون بعظمة المستحيل إلّا بعظمة فاعله المطلق الذي خلقه حائلا لا يخترق مهما آمل الآملون.

ولأنَّ المستحيل نتاج طاقة وقوّة؛ فهو فعل يُفعل؛ فينتج عملا قابل للملاحظة والمشاهدة، ولأنّنا نقف أمام المستحيل عاجزين؛ فَلِمَ لا نقف أكثر عجز أمام الفعّال له؟

فعلماء الفيزياء اكتشفوا أنّ الكون يتمدّد متسارعا، وهم عاجزون عن إيقافه، بل هم عاجزون عن قياس سرعة تمدّده، كما أنّهم عاجزون عن معرفة نقط صفر النّهاية التي سيتوقّف عندها، ومع ذلك يرى البعض أنّ الكون يتمدّد متسارعا، ولا شيء وراء تمدّده متسارعا، أي: لا إله من ورائه، وكأنّه تمدّد بلا غاية.

ومع ذلك أجمع علماء الفلك والفيزياء على أنّ للكون نهاية، وليس له بدّ إلّا بلوغها، وهي الانكماش أو التجمّد أو الانفجار الذي ينهي تمدّده المتسارع ويقفه عند حدّه، أو يكون سببا في إعادة

تشكيله من جديد، أو كما نرى نحن إعادة رتقه مع الأكوان الأخرى التي سبق وأن فُتقت؛ لتعود إلى حالتها الطبيعية التي خُلقت عليها عوضا عن الحالة التي أصبحت عليها طِباقا.

وبما أنّ الفزيائيين واثقون من نهاية الكون؛ فالسؤال:

من الذي وضع له نهاية؟ ثمّ كيف وضع الكون لنفسه حدّا كما يظنون وهو لم يصل إليه بعد؟

أقول:

كلّ ما قيل في هذه الخصوصية؛ ليس بحكم علمي، بل مجرّد آراء لا تتعدي نظرات أصحابها الذين انبهروا بما رأوه من مستحيلات حتى ظنوا أنّها الخالق؛ وهم بهذه النظرة، كمن لا يميّز بين الخالق وما خَلق. ولكن، وفقا لقاعدة المستحيل المؤسّسة على خَلق الشيء من لا شيء؛ فلا شيء إلّا ومن ورائه مشيء، وسيظل الأمر كلّ شيء من ورائه مشيء حتى بلوغ المستحيل الذي لم يكن من ورائه إلّا المستحيل الذي يؤدّي بالواعين إلى التّسليم الذي لا يجعل لآمالهم فسحة إلّا فيما دون المستحيل والمعجز.

ومثلما يكون وراء كلّ شيء شيئا كما هو حال بنو آدم الذين هم من نطفة، وآدم من تراب؛ فكذلك يكون وراء كلّ مستحيل يشاهد ويلاحظ مستحيلا لا يمكن مشاهدته ولا ملاحظته، مع أنَّه يُدرك استحالة؛ فالمستحيل كفعل يتحقّق عملا؛ فهو: مثل خلق

الكون، والحياة والموت والشّروق والغروب، أمّا المستحيل كذات؛ فلا يتجسّد في شيء يمكن أن يكون من ورائه شيء آخر؛ فيصبح التسليم به إعجازا حيث لا شكّ في وجوده، والمستحيلات تتحقّق بين أيدي النّاس في كلّ جزئية من الزّمان والوقت ولا أحد يستطيع إيقافها أو الحدّ منها وإن عظمت آماله؛ ولذا؛ فمعرفة المستحيل تُمكّن من معرفة مستحيلات أعظم حتى بلوغ المستحيل مستحيلا.

فالكون الذي قالوا عنه خُلق من لا شيء ولا خالق من ورائه؛ فبقولهم هذا يعترفون بوجوده، والخالق من ورائه، وإلّا لماذا قالوا: (خُلق من لا شيء) فكلمة (خُلق) تعيد أمر الخلق للخالق وليس للشيء المشار إليه بأنّه قد خُلق من لا شيء.

ولأنّ وجود الكون شيء مستحيل؛ فلا شكّ أن من ورائه ما هو أعظم استحالة، وهنا، يكمن القصور بين إدراك المستحيل الأوّل (الخالق) وبين ما يراه المستحيل اللاحق (الإنسان) الذي خُلق مستحيلا؛ فالإنسان مع أنَّه خُلق مستحيلا، لكنّه لا يخلق المستحيل؛ ولهذا؛ فالقاعدة:

(من يَخلق المستحيل لا يُخلق).

ولأنَّ من يخَلق المستحيل لا يُخلق، والكون خَلق مستحيل؛ إذن: فالمستحيل (الكون) يُخلق وخالقه لا يُخلق، ولهذا؛ كان خلق الكون مستحيلا مثله مثل أيّ مستحيل.

والقاعدة الخلقية تقول:

(المستحيل قوّة تَخرِق ولا تُخرَق).

ولأنَّ المستحيل قوّة اختراق لكلّ قوّة وإن اجتمعت، فقوّة الكون تمدّدا وتسارعا ستقف وتنتهي انكماشا أو انفجارا عظيما، أو رتقا أعظم، وهذا يدلّ على وجود مسيّرٍ للمستحيل، وموقف له، أو مفجّر، أو راتق له، حيث لا استحالة أمام الفعل المستحيل. وهنا تقف الآمال عاجزة، ومن ثمّ ليس لها إلّا التسليم.

ولذا؛ فالتوقّف عند المستحيل عن وعي، يمكّن من عدم الوقوف عنده نهاية؛ فالمستحيل فعل لا يتحقّق إلّا وفق مشيئة فاعله، وهو الذي ينبغي أن يدرك بمشاهدة وملاحظة مستحيلاته حتى يدرك أنَّ إدراكه مشاهدة وملاحظة هو الاستحالة بعينها. ولذلك؛ فالقاعد الخَلقيّة تقول:

(المصوِّرُ المطلق يرى ولا يُرى).

وعليه؛ فلا إمكانية لرؤية المصوِّر المطلق كونه لا يُصوَّر، ولهذا؛ فخالق الشيء لا يمكن أن يكون الشيء؛ ذلك لأنَّ الشيء يُخلق والمشيء لا يُخلق.

ولأنّ المشيء لا يمكن أن يكون شيئا، إذن: فكيف للكون كونه شيئا أن يكون مشيئا لخَلق ذاته؟

هذا ما ارتأه بعض علماء الفيزياء الذين وقفوا على معجزات الخالق وكأنّها خالقة لنفسها، ومن لا شيء، وفي هذا الشأن وكأنّهم يقولون: نحن خُلقنا شيء من لا شيء في الوقت الذي هم فيه يعلمون أنّهم قد خُلقوا من ترابٍ. وإلّا كيف يقبلون بخلقهم من تراب وهم يعلمون أنّ أباهم آدم لم يخلق نفسه، وهو من تراب، أي: بما أنّ آدم من تراب، ولم يكن ترابا؛ فمن الذي خلقه آدما؟

إنَّ هذه القاعدة تسري بالتّمام على خَلق الكون الذي قالوا عنه إنّه من ذلك الانفجار العظيم لتلك الذّرة التي لم يقولوا عن خلقها شيئا، وهي التي لو لم تُخلق ما كانت ذرة، وما انفجرت كونا عظيما كما يدّعون بلا دليل سوى وجود أثرٍ يشير إلى الانفجار،

أو يشير إلى ما يشبه الانفجار، في الوقت الذي قال فيه الخالق تعالى غير ذلك: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[13].

وبناء على هذا القول تساءلنا:

أيّهما أولى: أن نأخذ بقول الخالق، أم أن نأخذ بقول المخلوق؟ ومع ذلك قبلنا قول المخلوق لنأخذ بقول الخالق.

---

[13] الأنبياء 30.

فالخالق الذي خَلق الكون، وكوّر فيه النّجوم والكواكب كما كوّر منه الأرض التي خُلق الإنسان الأوّل من ترابها عندما كانت مرتقة في السّماوات جنّة، قال: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}[14]. فكيف بمن لم يكن سابقا على قوله تعالى، أن يقول: إنّ الكون خَلق نفسه؟

وكيف أقنع نفسه بذلك مع أنَّ ما بلغه من معرفة لم يكن ولادة أمل حتى يكون بين أيدي النّاس دليلا شاهدا في معامل ومختبرات البحث العلمي المتقدّمة؟

وإذا سلّم من سلّم بهذا القول؛ فسيجد نفسه في مواجهة مع خلق نفسه التي لم يخلقها. وبتسليمه هذا ليس له بدّ إلّا الاعتراف بأنّه لا إمكانية أن يخلق الشيء نفسه. أي: كيف لمن يعرف أنّه خُلق من نطفة أن يقول شيئا غيرها؟

ولأنّ قاعدة الخلق تقول: الشيء يُخلق ولا يَخلق.

إذن: فمن خُلق من نطفة ليس له بدّ إلّا استمداد قاعدة خلقه من شيء (تراب أو نطفة) ليستقرا بها خلق الشيء الذي لا يمكن أن يخلق نفسه. أنّها المسلّمة لمن يدرك أنّه لم يَخلق نفسه، لكونه يدرك خلقه من النطفة التي من قبلها يعلم أنّها لولا التزاوج ما كانت، وكذلك من قبلها يدرك أنّ أبويه (آدم وزوجه) لم يكونا من نطفة،

---

[14] الزّمر 62.

وهنا تكمن العلّة التي قفز عنها بعض من علماء الفيزياء بقولهم: إنّ الكون خلق نفسه ولا خالق من ورائه.

ومع أنَّهم يؤمنون بخلق الأشياء، ولكنّهم عندما وقفوا عند أكبرها (الكون)، قالوا: إنّه شيء، ولكنّه خالق. وهذا ما يتعارض مع قواعد الخَلق:

ـ هيئة الشيء تسبق الشيء وجودا.

ـ وراء كلّ شيء مشيئة.

ـ وراء كلّ مخلوق خالق.

ـ الخالق يرى ما خلق، والمخلوق لا يرى خالقه.

ولذا؛ فالكون لو لم يكن له مكوِّن ما كان كونا، والخَلقُ لو لم يكن من ورائهم خالق ما خُلقوا، والعلم لو لم يكن من ورائه العالم ما عُلّم، {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}[15].

وعليه:

فالمستحيل فعل، والفعل لا يشاهد ولا يلاحظ إلّا إذا تجسّد في عملٍ؛ ولذلك؛ فالمستحيل طاقة تُمكّن من إيجاد ما لم يسبق وجوده؛ ومن ثمّ؛ فالمستحيل فعل أوجد كونا متمدّدا ومتسارعا في تمدّده، ثمّ خُلق منه وفيه ما خلق مستحيلا، وكلّ ما خُلق استحالة،

[15] البقرة 31.

لا يُخلق ممّن لا يتجاوز جهده دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع وإنّ كان يأمل ذلك.

ولأنَّ الكون خُلق خَلقا مستحيلا؛ إذن: فلا إمكانية لخلق كون مثله إلّا من الذي خَلقه مستحيلا، ومن هنا، استقراء علماء الفيزياء والفلك، وجود أكوان أخرى خارج كوننا المتمدّد تسارعا، ومع أنَّهم اكتشفوا معطيات تشير لذلك، ولكنّ ما هو أعظم: إنَّ الخالق قد أخبر عنها وضوحا، ويا ليتهم يطّلعوا على الكتاب لعلّهم يرشدون إلى ما هو أعظم علما ومعرفة. {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا}[16]؛ فقوله: (كيف خلق) هنا يكمن المستحيل حيث لا إمكانية لمعرفة الكيفية التي بها خلقت الأكوان طِباقا، ولأنّ معرفة (كيف؟) أمر مستحيل؛ فأخبرنا الخالق عن (الكيف) بقوله: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[17]. أي: بعد أن كان الكون ملتحما سماوات وأراضين، فُتق مستحيلا إلى سبعة سماوات وسبعة أراضين، وبما أنّنا نعلم بفتق الأكوان؛ فَلِمَ لا نبحث؛ حتى نكتشفها مستحيلا بعد مستحيل.

ولذلك؛ فالأرض لا تَخلق الأرض، والسّماء لا تَخلق السّماء، وعالم الفيزياء لم يلد نفسه ولم يخلقها، وحتى إن خُلق الشبيه بأيّ

[16] نوح 15.

[17] الأنبياء 30.

مفتاح من مفاتيح العلم؛ فلن يُخلق الشبيه البشري إلّا من خلية حيّة، وحتى إن خلق الشبيه؛ فسيظل شبيها، ولذلك؛ فقضية الخلق (الحياة) لن تكون إلّا بيد من بيده أمر الحياة.

ولأنَّ المستحيل لا يمكن أن يُدرك إلّا عندما يصبح شيئا مفعولا، إذن: فالمستحيل عندما يتجسّد في عمل يصبح مفعولا شكلا أو صورة أو شيئا مشاهدا وملاحظا، ولأنّه المفعول؛ فلا يكون إلّا بفعل الفاعل، ولأنّه بفعل فاعل المستحيل؛ فهو لم يَخلق نفسه، بل من ورائه خالق المستحيل الذي لم تتمكّن عقول بعض الفيزيائيين من التمييز بينه وبين فعله الإعجازي؛ فعقول البعض وقفت عند المستحيل وكأنّه الخالق، وهنا تكمن العلّة المعيقة للبعض من الارتقاء وإحداث النُقلة. ولهذا وجب للإنسان أن يأمل ويسعى عملا جادا من أجل بلوغ المأمول العلمي، ونأمل له نيله، شريطة أن يكون نتاج تساؤلات وفروض علمية، بحيث يبرهن لنا تجربة يمكن تكرارها ومشاهدة الحقائق البعيدة من خلالها قريبة.

ولذلك؛ فالكون لو لم يكن مخلوقا ما كان مستحيلا، والاستحالة من أجل أن تُدرك ينبغي أن تلاحق وتتابع استحالة بعد استحالة، وكأنّها تتدرّج من الأصعب إلى الصّعب، فخَلق الكون وتسييره أكبر المستحيلات التي تمّ إدراكها عقلا، ثمّ خَلق المشاهد في ظُلمة، فيها خُلقت الأرض كما خُلقت النّجوم والكواكب

والمجرّات، ثمّ خلقت الأزواج من الأرض وهي مرتقة في السّماء، ثمّ من بعدها خُلق التكاثر تزاوجا؛ فكلّ هذه المخلوقات هي نتاج الفعل المستحيل، ولذلك؛ فبمقارنة خلق الأزواج من الأرض وهو الأقرب لعقول البشر، نجد أنّ الخلق من لا شيء (خلق الكون) يبدو وكأنّه أصعب من خلق الأرض، وهكذا خَلق الأرض يبدو وكأنّه أصعب من خلق آدم وزوجه المخلوقان منها، وكذلك الخلق من التزاوج على الصّعوبة التي لا تقارن لو لم يكن هناك ما هو أعظم خلق منه.

ومع أنّنا ندرك أنّه لا صعوبة بالنّسبة إلى الخالق، كونه يَخلق بأمره ما يشاء متى ما يشاء، وأينما يشاء، وكيفما يشاء، ولكن لتقريب المعنى وتوصيل المفهوم دلالة استمددنا مثالا توضيحا للمستحيل الذي لا يكون إلّا مخلوقا ومفعولا من خالق يَخلقه ويفعله، ولذلك؛ فلا وجود للصّعب على من بيده أمر الخلق استحالة، ولكنّ الصّعب يواجه من يحاول بجهده ومقدرته المحدودة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

فالمستحيل فعل لا تواجهه الصّعوبة، بل الصّعوبة تواجه الممكن الذي لا يكون إلّا في حدود الجهد والإمكانات المتاحة؛ فالمستحيل لا علاقة له بالجهد، بل له علاقة بالفعل المطلق الذي

لا يكون إلّا بيد من فعل المستحيل الذي به خُلق الكون تمدّدا وتسارعا إلى النّهاية التي من بعدها ستؤول الأكوان كونا مرتقا.

ولذا؛ فعندما تُرتق الأراضين والسّماوات يعود الكون كما خُلق أوّل مرّة، {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ}[18]؛ فالوجود هكذا سيكون بين تمدّد وانكماش حتى النّهاية التي تعتدل فيها الأكوان على كرسي خلقها بلا استحالة.

فالمستحيل لا يكون بالعمل، بل المستحيل لا يكون إلّا بالفعلٍ؛ ذلك لأنَّ العمل يتحقّق وفقا لما يُبذل من جهد وما ينجز منه، أمّا الفعل؛ فلا يتحقّق إلّا بفعل الفعّال، حيث لا حاجة للجهد (كن فيكون)، وعن غير مقارنة فأنا مثل غيري، بنظرات عيني فقط، أقول لأبنائي: اصمتوا، أو اجلسوا، أو اخرجوا؛ فما بالك بخالقي وخالق الكون وكلّ شيء مستحيل، ألا تكفي كلمة (كن)؟

وعليه:

فكلِّ ما لم يكن مستحيلا هو ممكن، وهنا تصنع الآمال وتولد أمل من بعد أمل، والفرق بين الممكن والمستحيل، هو: أنّ الممكن، قابل للإثبات أو الاكتشاف، وهو في حاجة لمن يبرهن على معطيات وجوده، وهو قابل للإثبات مثلما هو قابل للنّفي والرّفض،

[18] الرّوم 11.

وقابل للظّهور مثلما هو قابل للكمون، وقابل لأن يكون أملا من أجل مأمول.

ولهذا؛ لو لم يكن ممكنا ما تمَّ إثباته واكتشافه وظهوره وكمونه والشّكّ فيه، ومقارنته مع غيره، أو معرفة مدى ترابطه أو ثباته أو اهتزازه.

أمّا المستحيل: فهو المثبت الذي نعلم به ولا نعرف كيفيته إن لم يخبرنا عنها فاعله تعالى، فعلى سبيل المثال: المؤمنون يعلمون بيوم البعث، ولكنّهم استحالة لا يعرفونه، ولا يعلمون ساعته، ولذلك؛ فالخلائق تموت ولا أحد يستطيع إيقاف الموت عنها، والأحياء يخلقون ولا أحد يستطيع بث الحياة فيهم إن لم يولدوا أحياء، وهكذا الشّمس تشرق وتغرب، ولن يستطيع أحد تغيير أمرها أو تبديله.

ولأنَّ وجود المستحيل لا يُنفى؛ ولا يُلغى، ولا يُقدّم ولا يؤخّر؛ فهو متحقّق، في زمن المفاجئة، فالصّواعق والزّلازل والبراكين لابدّ وأن تحدث، ولكن ينبغي أن نعمل ما من شأنه أن يقي عنها، وكذلك المرض آتٍ ولكن ينبغي أن نعمل ما من شأنه أن يقي عنه، ويشفي منه، والصّحة تضعف، والعمل على تقويتها ضرورة ممكنة، والموت لا شكّ أنّه آتٍ وإن أطلنا في أعمارنا وبلغنا عمر نوح عليه السّلام أو حتى تجاوزناه سنينا، فكلّ ذلك ممكن علما وبحثا ومعرفة. ولكن أن نلغي الحياة أو الموت حتى وإن دمّرنا ما يمكن لنا تدميره؛

فلا إمكانية، وهنا يكمن المستحيل، أي: إنّ أمر المستحيل بين يدي فاعله أمرا نافذا؛ فعلى سبيل المثال: عندما يكون اليوم السّبت فإنّ يوم الأحد سيأتي غدا وفقا لِعِلمنا ومعرفتنا، ولكن يستحيل أن يحدث الانفجار العظيم ثانية، أو سينكمش الكون، أو أن يُرتق في لحظة المفاجئة، ولن يأتي الأحد غدا كما هو متوقّع، وهذا الأمل يسري على المأمول؛ إذ ليس كلّ الآمال تتحقق وإن كان المأمول قابل للنيل.

ذلك لأنَّ المستحيل هو فعل يُفعل بغتة (في زمن المفاجئة)، وهو الذي يحتوي دائرة الممكن، والممكن لا يحتويه؛ فالممكن لا يكون إلّا وفقا للاستطاعة، ولا يتحقّق إلّا على أيدينا، أمّا المستحيل؛ فهو ما لا تستطيع قوّتنا فعله، ولا أيدنا عمله، ولا عقولنا إدراكه ومعرفة كيفيّته. ومع ذلك؛ فمن الضّرورة التفكير فيه بعمق ودون ملل؛ فالملل يحول بين الحقيقة والباحثين عنها.

ولذا؛ ينبغي على البحاث إن أرادوا معرفة المجهول، أن يصوغوا له تساؤلات؛ فالتساؤلات تقود إلى معرفة المجهول في دائرة الممكن، ومن ثمّ؛ فالبحاث الذين يعتمدون على صياغة الفروض العلمية؛ لن يتمكّنون من معرفة المجهول، بل يتمكّنون فقط من معرفة النّصف المتبقي من المعرفة المتوفّرة لديهم؛ فالفروض وأن عظمت نتائجها؛

فهي لا تصاغ إلّا ونصف المعلومة غير مجهول، وللضّرورة هم يبحثون بهدف معرفة ما يتمّم نصف ما لديهم من معرفة.

ولذلك؛ وجب تقدير الشّطحات العلمية؛ فهي في دائرة الممكن قد تؤدّي إلى معرفة المجهول، أمّا بالنّسبة إلى ما هو مستحيل؛ فالشّطحات عندما تكون موضوعية؛ فهي تمكّن من معرفته وإن قصرت عن معرفة الكيفية التي هو عليها، ولكن عندما تكون الشّطحات غير موضوعية؛ فهي بلا شكّ ستزيد الهوة اتساعا بين ما هو مستحيل، وما ينبغي أن يتمكّن من معرفته وإدراكه.

ومن هنا؛ فلا ينبغي أن تكون المناهج تدبّرية مقتصرة على الوقت الحاضر، بل ينبغي أن تكون تطلّعية، تستوعب الحاضر تدبّرا ولا تقتصر عليه؛ فالتدبّر لا يكون إلّا وفق الإمكانات المتاحة في الوقت الحاضر، أمّا التطلّع؛ فهو البحث عمّا يُحدث النُقلّة إلى ما هو أفضل وأكثر ارتقاء.

ولذلك؛ فالتّطلّع يُمكّن الآمل من مأموله كما يمكّنه من استقراء المستقبل وصناعته، ثمّ يمكّنه من تجاوزه ارتقاء، ومن ثمّ، إذا أردنا معرفة المستحيل وبلوغه استحالة؛ فلا ينبغي أن توضع إشارة قفّ أمام التفكير العلمي لبني آدم. بل ينبغي أن نفكّر فيما نفكّر فيه حتى ننجزه عملا متحقّقا أمام المستحيل وآفاقه البعيدة، والذي بوجوده بعيدا عنّا يفسح لعقولنا مجالات التفكير فيه، والتمدّد تجاهه

بلا موانع. أي: ينبغي أن نفكّر في كلّ شيء، وبكلّ حرّية مقدّرة، حتى نعجز، وحينها نعرفه مستحيلا، ولذا؛ فلا مستحيل قبل العجز، ومن ثمّ؛ فوجب البحث حتى بلوغ العجز الممكّن من معرفة المستحيل عن قرب، ولذلك خُلقنا.

ولأنّنا خُلقنا لذلك؛ فينبغي لنا أن نأمل ونعمل، والمستحيل نصب أعيُننا، حتى ندركه عجزا، وحينها ندرك إنّ الارتقاء إليه يمدّنا بالثّقة حيث كلّ شيء ممكن حتى وإن كان غير متوقّعٍ.

ولأنّه المستحيل؛ فهو لا يعيق العمل ارتقاء، بل الذي يُعيق العمل عن النّهوض، وإحداث النُقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة ونيل المأمول هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيّة الأخلاق وسُفلية التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني، {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى}[19].

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونية، ولكن لأنّ الارتقاء والدّونية يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا؛ فهما بيد الإنسان رغبة واختيارا، ولذلك، ينبغي على بني آدم أن يأملوا ويعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُقلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

---

[19] الكهف 88.

وعليه:

فالفعل المستحيل لا يكون إلّا خَلقا، ولأنّه كذلك؛ فلا يكون إلّا إعجازا، حيث لا إمكانية لخلق الشيء شيئا إلّا بمشيء، وحتى إن عُدنا لذلك التّساؤل الذي كنّا نطرحه على أنفسنا أيّام المراهقة والثانوية، وهو:

من الذي خلق الخالق؟ وكيف كان قبل أن يخلق ما خَلق؟

أقول:

بما أنّنا نقول الخالق، إذن: فلا ينبغي أن نسأل عمّن خلق الخالق؟ أي: كيف لنا من زاوية نقول الخالق، ومن زاوية أخرى نسأل عنه؟ إنّه الخالق الذي يخلق ولا يُخلق، ومن ثمّ؛ فكلّ شيء يُخلق؛ فهو ليس بالخالق، ولذا فلا فواصل بين الخالق وخَلقه؛ فالخالق ليس على الصّورة ليكون موجودا قبل أن يخلق الخلائق، ولذلك؛ فالسؤال ليس في محلّه، لأنّ السّائل جعل في ذهنه هيئة للخالق، وهنا تكمن العلّة، حيث لا هيئة للخالق، بل له مشيئة، والمشيئة هي فعل المستحيل، والتفكير في الفعل المستحيل يجعل السّائل في حيرة من أمره بعلّة في نفسه وهي: اختلاط فكرته عن الخالق الذي لا يُصوّر بما هو على هيئة الصّورة، وبالتّالي فمن يتصوّر لله هيئة، يجعله وكأنّه داخل الإحاطة، ومن يفكّر داخل الإحاطة؛ فتفكيره لا يزيد عن كونه تفكير كتكوت داخل البيضة، والذي لا إمكانية له في رؤية

عالم أعظم من عالمه داخل البيضة؛ ولذلك؛ فهيئة الله بلا هيئة، وصورة الله بلا صورة. ومن هنا؛ فنحن غير عاجزين عن معرفة الله، ولا يليق بنا أن نسأل عمّن بيده الأمر (كن): كيف كان؟

نعم، الله لم يكن، حتى نسأل عنه كيف كان؛ فمثل هذا السؤال يتعلّق بمن لم يكن فكان؛ كما هو حال الكون الذي كما يقولون عنه كان نتاج ذلك الانفجار العظيم سببا، وكما هو حال الأزواج التي لو لم تكن الأرض كائنة ما خُلقت منها الأزواج سببا، وغيرها كثير من الخلائق التي قبل خلقها لم تكن بخلائق.

ومن هنا؛ فلا ينبغي أن يكون السؤال: كيف كان الله؟

بل ينبغي أن يكون السؤال: من هو الله؟ وما هي صفاته؟

فالله هو الذي يُسمّى بهذا الاسم، وهو الذي لم يكن كائنا، حتى يسأل عنه كيف كان، ولذلك؛ فالكائن لا يكون إلّا على هيئة يراد له أن يكون عليها؛ فيكون. وبالتالي فأيّ كانٍ لا يكون إلّا على هيئته ووفق مشيئة ليست بيده، ومن هنا؛ فنحن ندرك الكون علما، ولكنّا لا ندرك هيئته، وكيف لنا بهذا ونحن لم ندرك صورة الكون متكاملة؟ أي: كيف لنا بهذا ونحن داخل محيط الكون الذي لم نتمكّن بعد من الخروج عنه بأيّ سبب، ومع ذلك يمكن لنا أن نتصوّر الكون باعتبارنا جزيء فيه أو حتى إنّنا أقل من ذلك بكثير، أمّا الخالق فهو على غير هيئة؛ كونه على غير صورة، وبالتالي لا

إمكانية لوضعه في أيّ هيئة ذهنية، ولا يليق بعقولنا ومدركاتنا التي أدركته استحالة أن تجعله على هيئة أو صورة وهو لم يضع نفسه فيها؟

ومن ثمّ؛ فالله يخلق غيره، وغيره لا يخلقه، وبالعودة إلى السؤال: كيف كان الله؟

فالله لا يكون.

ومن هنا، فالسؤال لا علاقة له بمن يُسأل عنه. بل له علاقة بالسّائل، الذي لا يعرف من كينونته إلّا أنّه من نطفة ومن قبلها من تراب، ولا شيء غير ذلك، ومع ذلك يسأل: كيف كان الله؟

أي: ألا يكفي إجابة أنّه يعلم أنّه قاصر عن معرفة كيفيّة خلقه التي ليس له رأي فيها؟ ويسأل عن كيف كان الله؟

أقول:

عليك بالبحث في الكون بلا توقّف لعلّك تعرف: كيف خُلق، وكيف كانت له هيئة قبل أن يُخلق، ووفق أيّة مشيئة هو خُلق؟ وكذلك عليك بالبحث في نفسك لعلك تعرف: كيف خُلقت، وكيف كانت لنفسك هيئة قبل أن تُخلق؟ ووفق أيّة مشيئة هي خلقت؟ وعليك أن تفكّر فيما تفكّر فيه قبل أن تتكلّم وتقرّر

أو تعمل؛ فإن فعلت ذلك عن وعي، لا شكّ إنّك ستدرك أنّ صفات الله تتعدد بتعدد نعمه، وهو الواحد الذي لا يتعدد.

الأمل ليس نشوء معجزا:

المعجز ليس الصّعب كما يظن البعض، فالصعب لا يكون إلّا في دائرة الممكن، أمّا المعجز ما ليس في الإمكان، إنّه بأمر الله يحدث على أيدي الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، ولهذا لا ينجز عملا، ولا يتحقق غرضا، ولا يبلغ غاية، ولا يتم نيله مأمولا.

ولأنّ فعل المستحيل بيد الخالق؛ فالخالق لو لم يفعل مستحيلا، ما نشأ الخلق وجودا مُعجزا، وما أمكن للإنسان ارتقاء. إنّها حلقات متداخلة (خلق، نشوء، ارتقاء)، ولا يمكن أن تستقل حلقة

وهذا الأمر ينبغي أن يلفت نظر الإنسان إلى أهمية الأرض كونها الأم الأولى، والوطن الأوّل، الذي فيه بني آدم إخوة مختلفون، ولِمَ لا يظلون إخوة مختلفين؟ فالاختلاف مشيئة الخالق في خلقه، وليس عيب أخلاق، بل العيب الذي ينبغي أن يُجنّب هو الخلاف الذي بأسبابه تقاتلا ابني آدم إذ سيطرة الشّهوة والرّغبة الشخصانية على أحدهما؛ فأقصى أخاه ثمّ قتله.

ولأنّها العلل المفرّقة بين الإخوة ألما؛ فَلِمَ لا تُقبر بيدٍ واحدة، وعن قلبٍ واحدٍ، ويترك المجال ارتقاء لنشوء المودّة والتوافق بين بني

آدم، من أجل البناء نموّا يطوى الهوة بين الأرض والسّماء عملا لا اتكالية فيه من أحدٍ على أحدٍ.

ولأنّ النّشوء منبت الحياة نموّا معجزا؛ فهو لا يتوقّف خَلقا، ولأنّه كذلك؛ فَلِمَ لا يكون أيضا لا يتوقّف ولا يتخلّف على أيدي بني آدم، تعليما، وصحّة، وزراعة، وصناعة، وبناء وإعمارا، وإصلاحا، وغزوا للفضاء حتى بلوغ الحلّ الممكّن من بلوغ الجنّة نعيما وفردوسا.

ولأنَّ العلاقة بين الخَلق، والنّشوء، والارتقاء علاقة ارتباطية؛ فهي مثل علاقة (الأرض والبذرة والسّماء)؛ فالبذرة لو لم تُبذر أو تُغرس في الأرض ما نبتت ونمت على ظهرها ارتقاء في اتجاه السّماء وكأنّها تأمل بلوغها غاية.

ولأنَّ العلاقة بين الخَلقِ والنّشوء والارتقاء، علاقة بين مستحيل ومعجز وممكن؛ فهي علاقة اعتمادية بين السّابق (الخَلق)، والتابع (النشوء)، واللاحق (الارتقاء)، ولذلك وجبت المعرفة على اللاحق، لكلّ تابع لما قبله سابق، ممّا يجعل الماضي البعيد هو المستقبل بعينه، أي: لو كان أبونا آدم على قيد الحياة وسألناه، ما هو المستقبل المأمول؟ لقال: تلك الجنّة (ذلك الماضي الّذي نشأ فيه ارتقاء قمّة ورفعة).

ومن هنا؛ فإنّ التفكير في المستقبل يربط المفكّر وما يفكّر فيه بالماضي المأمول، ومع أنَّ الزّمن في أذهاننا مقسّم بين ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ، ولكن التفكير تدبّرا في الوقت الآن لا يمكن أن يفصل مستقبل آدم المأمول عمّا نشأ فيه يقينا. ولذلك؛ فالزّمن الحاضر كما يربطنا بما جرى أملا؛ فهو يربطنا بما نأمل الارتقاء إليه، سواء أكان المأمول قد حدث في الماضي، أم أنّه سيعود إلينا ثانية.

ومع أنَّ خلق آدم وزوجه كان خلق قمّة في أحسن تقويم، ولكن آدم وزوجه انحدرا عن تلك القمّة باختيارهما، ومع ذلك عندما عرفا إنّ العلّة قد ألمت بهما وكانت من وراء انحدارهما هبوطا دونيّا، ندما واستغفرا لذنبهما؛ فتاب الله عليهما، ومن هنا، نشأ لديهما أمل العودة إلى تلك القمّة الماضية وهي بالنّسبة إليهما هي الأمل المفقود، ولكنّ هذا الأمل المفقود لا يمكن أن يبلغ إلّا بالعمل ارتقاء.

وهنا يتداخل الزّمن؛ فما يأمله آدم وبنوه المصلحين هو: تلك الجنّة التي خُلق فيها آدم وزوجه، ولكن كيف تكون تلك الجنّة هي الماضي، وتكون هي المأمول ذاته في المستقبل؟

أقول:

الجنّة خُلقت وجودا في الكون المرتق إذ لا وجود للأيّام، بل هناك اليوم الواحد (اليوم الآخر) الذي لا وجود للظُّلمة فيه، حيث

لا مجال للشّروق والغروب، ولأنّه كذلك؛ فلا وجود للماضي والمستقبل، بل الوجود للحاضر، ولا شيء غيره.

فالمخلوق عندما ينتهي من الوجود الحي، ليس له من الأيّام إلّا الزّمن الحاضر، وكذلك عندما يُبعث حيّا لن يجد شيء مسجّلا إلّا في الزّمن الحاضر الذي وحده سيكون الشّاهد الأوّل على الأعمال ثقيلها وخفيفها.

ولذلك؛ فكلّ حياة الإنسان هي زمنٌ حاضرٌ، وكلّ ما يعمله الإنسان فيها، ويتمّ استدعائه من الذاكرة لا يكون إلّا حاضرا في الزّمن الحاضر. أي: كلّ شيء يُفعل أو يُعمل لا بدّ أن تسجله الحياة في صفحاتها حاضرا.

فالزّمن دائرة، نقطة بدايتها تتمثّل في كلّ نقطة من نقاطها المتّصلة، التي عندما يوضع الأصبع على أيّ منها تعد هي مركز منتصفها، وفي ذات الوقت تعد نقطة نهايتها، وهنا، يعد الزّمن كلّه حاضرا، أمّا الأعمال في الزّمن؛ فهي الشّاهدة على من يقوم بها، ولهذا؛ يموت العاملون وتبقى أعمالهم حاضرة حيث لا وجود لماض يقبرها، بل الماضي يحفظها حاضرا.

ولذلك؛ فالنّاس يحدّدون أهدافهم، ثمّ يعملون على إنجازها أو تحقيقها وبلوغ الغاية التي من ورائها، مع العلم أنّ الزّمن بين تحديدها وبلوغها يحتاج إلى أعوام، وهذا يعني: أنّ زمن تحديد الأهداف لم

يكن زمن تحقيقها، ولا تحقيق الغاية التي من ورائها، ولم يكن زمن نيل المأمولات مع أنَّ الزّمن الذي حُدّدت فيه قد أصبح ماضٍ، وهو في ذات الوقت بالنّسبة إلى إنجازها أو بلوغها لا يعد إلّا مستقبلا.

ومن ثمّ؛ فتلك الجنّة بمقاييس زماننا هي ماضٍ، ولكن إن سلّمنا بذلك، ألا يعني أنّ الماضي سيظل ماضٍ ولن يعود؟ وإذا كان كذلك؛ فلا أمل فيه، ممّا يجعل التسليم به، وكأنّنا نقول: لا وجود للجنّة في المستقبل.

ولهذا؛ فمن يعمل، ثمّ يزداد نموّا وارتقاء؛ فلن يبلغ جنّة غير تلك الجنّة التي هي حاضر آدم وزوجه، وهنا، نقول:

إنّ الماضي المأمول هو المستقبل بعينه؛ فمن شاء بلوغه؛ فليعمل على مستقبل يربطه بالماضي ارتقاء؛ ولكن هذا لا يعني الاجترار، ولا يعني الالتفات إلى الورى، بل يعني: التقدّم تجاه المأمول نشوء وإبداعا منتجا لكلّ جديد مفيد يرتقي بالنّاس إلى تلك الجنّة، وحيث ذلك الماضي الذي خُلقت فيه الأزواج، والتي كان آدم وزوجه على رأسها في أحسن تقويم (قمّة).

فالزّمن متصّل بلا فواصل، وما يسمى بالماضي والحاضر والمستقبل، لا تزيد عن كونها فواصل من عندنا، وليس من عند الزّمن؛ فالزّمن هو الزّمن حاضرا، ولكن الأحداث التي تقع فيه تفصل بينها الأيّام التي بها تُعد السّنين، وفيها تُصنّف الأعمال بين من

ثقلت موازينه من أجل العودة إلى تلك الجنّة أملا وارتقاء ومن خفّت موازنه انحدارا؛ حيث لا أمل له في ماضٍ لم يأمله مستقبلا.

ولذا؛ فَخَلق الكون مُرتقا، ونشوء آدم وزوجه فيه ارتقاء، ثمّ انحدارهما منه والأرض هبوطا، لا يلغي في دائرة الممكن أمل العودة إلى ذلك الكون متى ما تمّ رتقه كما كان أوّل مرة. {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ}[20].

يُفهم من هذه الآية، إنّ الخَلقَ والنشوء قد أوجدا كونا أوّلا (كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)، ثمّ أصبح الارتقاء فرصة، ولأنّه فرصة؛ فلا ينبغي أن تضيع من أيدي من سُنحت لهم، ولهذا؛ فأوّل المغتنمين لها استغفارا وتوبة كان آدم عليه السّلام؛ فتاب الله عليه بأمل العودة إلى حيثما كان عليه قمّة.

وبما أنَّ الارتقاء لا يكون إلّا حيثما توجد القمّة المأمولة؛ إذن: فلا ارتقاء إلّا إلى حيثما هي كائنة، ولأنّها قمّة كائنة وجودا؛ فهي وجود سابق على من يرغبها أملا لاحقا، ومن هنا؛ فالزّمن ليس هو ما نأمله، بل الذي نأمله، ما يحتويه الزّمن وجودا؛ ولذلك؛ فالزّمن هو الزّمن؛ فحيثما كان الماضي يكون المستقبل حاضرا.

ومن ثمّ؛ فالأهداف التي تصاغ في خِطّة بحثية في الزّمن الحاضر هي الأهداف المأمول إنجازها في الزّمن المستقبل الذي يوم أن تنجز

---

[20] العنكبوت 20.

فيه يكون هو الشّاهد (الحاضر) على إنجازها، كما كان هو الشّاهد حضورا يوم تحديدها وصياغتها.

فالكون الذي كانت بداية الخلق منه حاضرة، هو الكون الذي ستكون نهاية الخلق إليه حاضرة، أي: لا وجود لشيء إلّا في حاضرٍ. وبما أنَّ خلق الكون مُرتقا كان البداية، إذن: فالنّهاية لا تكون إلّا برتقه ثانية، (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) التي لا يمكن لنا معرفة كيفيّتها، لأنّ أمر معرفة الكيفية الآخِرة مستحيل، ولأنّه أمر مستحيل؛ فهو خارج دائرة الارتقاء إليه ممكنا.

ولأنّه خارج دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، فلا إمكانية لتصوّره، ولا إمكانية لمعرفة كيفيّته، ولذلك؛ فسيظل المستحيل مستحيلا وإن علمناه مستحيلا، {وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ}[21].

أي: إنَّ نَشأة أخرى قد حُدّدت وستأتي لا محالة، وسينشأ الخلق عليها بعد أن ينتهي الكون تمدّدا وبأيّة علّة، والاستحالة هنا، هي التي لا تكون إلّا ممكنا بين يدي الله، حيث لا استحالة أمامه.

ومن ثمّ؛ فبنو آدم يعرفون أنّ أساس النّشوء الآدمي، هو من الأرض، وكذلك، هم يعرفون أنّ الأموات يتحلّلون وينتهون فيها أثرا باليا، ويدركون أنّ للحياة بداية ونهاية، ثمّ إنّ للموت نهاية (موت الموت)، ولهذا؛ فالمؤمنون يعرفون أنّ من بعد النّهاية بداية أخرى

[21] الواقعة 61.

على كيفية أخرى، ولا تكون إلّا مستحيلا: (وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ).

ولذلك؛ فلا نشوء خَلقي مُعجز إلّا وفعل الخَلق يسبقه، ولا ارتقاء خُلقي إلّا ونمو الخُلق منشأه، ومن هنا؛ فلا يلد الشيء المعجز إلّا من الشيء المعجز، وفي المقابل الخالق يخلق الشيء من لا شيء استحالة، كما هو استحالة خلق الكون وفتقه أكوانا.

ولأنَّ الخَلق هو فعل الوجود الأوّل؛ فالنّشوء من بعده وجود آخر مُعجز، ومع أنَّه وجود آخر، لكنّه لولا الوجود الأوّل ما كان شيء آخر، ولذا؛ وراء كلّ نشوء مُعجز نشوء من ورائه نشوء واستحالة، {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}[22]. فلو أجرينا مقارنة بين النّشوء الأوّل (الطّين) المعجز ثمّ (النّطفة) المعجزة، والنّشوء الآخر جنينا متكاملا معجزا؛ فلا نشاهد علاقة، ولكن مشيئة الخالق شاءت أن تكون بداية النّشوء مرحلة قابلة للنّمو والارتقاء من حالة إلى حالة أخرى تختلف عنها مشاهدة.

---

[22] المؤمنون 12 . 14.

ولذلك؛ لولا الطّين ما نشأت الأزواج، ولولا الأزواج ما نشأت النّطفة، ولولا النّطفة ما كان المولود شيئا آخر، وهنا، يصبح الخلق بين أيدي النّاس عجزا واستحالة.

ومع أنَّ بداية النّشوء لم تكن على الكثرة، ولكن نهايته لا تكون إلّا عليها؛ فالبذرة الواحدة نشوء تنتج أكثر من سُنبلة، وفي دائرة الممكن ارتقاء السُنبلة تمتلئ بذورا متعددة، وهذا يجعل عدد البذور المنتجة من البذرة الواحدة مئات، ولذلك فالتكاثر يتضاعف نموّا وكثرة ليُسهم في إشباع حاجات الإنسان المتطوّرة مع تطوّره عددا ومعرفة.

ومن ثمّ، ينبغي أن يعمل بنو آدم كلّ ما في وسعيهم من أجل تحسين حالات النّمو، وتحسين أحوالهم إلى ما يجب بلوغه نشوء وارتقاء؛ فالإنسان الذي يعلم أنّه في دائرة الممكن قادر على أداء العمل الممكن من نيل المأمول؛ فلا ييأس من بلوغ غير المتوقّع نتيجة، ولأنّ دائرة الممكن لا تقتصر على المتوقّع فقط؛ فلِمَ لا ينتبه الجميع ويعملون على تحقيق غير المتوقّع تعليما، وإنتاجا، وعدلا، ورفاهيّة، وغزوا للفضاء حتى اكتشاف الأكوان طباقا واكتشاف ما يضاف إلى المعارف الممكّنة من إحداث النُقلة المأمولة.

ولأنَّ النّشوء الخلقي يؤسّس لنشوء مُعجز من بعده نشوء مُعجز، كما هو حال نشوء الأرض التي من بعدها نشوء الأزواج،

تمّ نشوء التزاوج من الأزواج كثرة؛ فينبغي أن تكون هذه معطية تلفت العقل الإنساني لينشئ من الأشياء أشياء أخرى تسهم في إشباع حاجاته المتطوّرة؛ إذ كلّما التفت الإنسان إلى الأرض معجزة، اكتشف شيئا جديدا يمدّه بالمزيد المعرفي؛ فالأرض خامات وثروات ثمينة، تملأ ظاهرها كما تملأ باطنها، فمن بلغها نشوء وارتقاء معرفيّا تمكّن من تشييد المزيد نشوء حتى معرفة المستحيل وبلوغه مستحيلا، وفي المقابل من تُلهه نفسه شهوة؛ فلن يجد نفسه إلّا على حالة من الانحدار والدّونية التي لا تزيده إلّا تقليل شأن.

فالإنسان الذي خُلق على قمّة النشوء ارتقاء، لو لم ينحدر بداية، لكان إلى يومه هذا على قمّة الزّمن الحاضر في حُسن خَلقه وحُسن خُلقه. ولكنّ الغفلة قد أخذته؛ فعصى ربّه؛ فانحدر إلى ما لا ينبغي، ثمّ حاول النّهوض، ولكنّه لازال يحاول وهو بين أمل ويأس. أمل الارتقاء إلى ذلك الماضي، ويأس بلوغه بعلل الشّهوة التي لا ترى الأنا إلّا مركزا على حساب الغير.

وعليه:

فالنّشوء إعجازا لا يمكن أن يكون صفرا، بل الصّفر هو نقطة ما قبل وجوده أو نموّه؛ فالنّمو لا يبدأ إلّا من نقطة الصّفر، ولا ينتهي قمّة إلّا إليها، حيث التوقّف عن النّمو ارتقاء، أي: عندما يبلغ النّمو نقطة لا ينمو من بعدها شيء؛ تعد هذه النقطة صفرية

حيث لا شيء من بعدها إلّا الاستحالة وهي النقطة التي لا شيء من بعدها إلّا الانحدار إلى نقطة صفر البداية.

ولهذا؛ فحيثما كان الخلق كان النّشوء، وحيثما كانا (الخلق والنّشوء) كان الارتقاء، أي: لا ارتقاء بلا نشوء، ولا نشوء بلا خلقٍ، ولا خلق بلا خالق، ومن هنا، نميّز بين ما هو مستحيل إلّا بفعلٍ مطلق، وما هو نشوء إلّا بفعل معجز، وما هو أمل ممكن عمل واستطاعة.

فالنّشوء خلقٌ من خلقٍ، وإنبات من نبتٍ، وإعجاز من معجز؛ فالأرض عندما كانت مرتقة في السّماء كانت بيئة صالحة للإنبات بلا تكاثر، وهذه هي النشأة المعجزة (الأزواج) كما هو حال نشأة آدم وزوجه من تراب، {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا}؛ فإنبات آدم وزوجه من الأرض كان ظهورا مشاهدا مثل النبتة بالتّمام، غير أنّ النبتة ذات جذور ضاربة في الأرض، أمّا آدم وزوجه فلا ضربا لهما في الأرض إلّا سلالة، ولهذا؛ فخطاهما، تمشي عليها استقامة قامة.

الأمل ممكنا:

الأمل بحث عن مكانة، والمكانة يُمكن أن يكون الإنسان عليها خَلقا، ويمكن أن يكون عليها قيمة لا تُبلغ إلّا بمزيد من الجهد العقلي والخُلقي، وفي المقابل هناك من يره تطوّرا يطرأ على الكائنات

الحيّة؛ فيغيّر حالتها من دُنيا إلى عُليا، من خلال ما يطرأ عليها من تغيّر في الجينات والسّمات؛ ولكنَّ الجينات الخَلقية لم تكن نتاج تكيف بيئي حتى تتبدّل وتتغيّر مع تغيّر البيئات، بل هي خاصّيّة خَلقيّة تحافظ على الأجناس، حتى وإن بلغ الإنسان من العلم ما بلغه؛ فلا إمكانية له أن يغيّر الأجناس، وستظل الكائنات على ما هي عليه مختلفة، وإن لُعب بها جينيّا، ولكن تحسين وتجويد أنواعها أصبح في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع ارتقاء حتى النّهاية.

ولأنَّ الإنسان في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع، فهو مؤهّل لأن يرتقي إلى ما هو أفضل قيمة، ولأنّه كذلك؛ فالأمل لا يفارقه، ولهذا؛ فهو يبحث من أجل بلوغ القمّة التي لا تُبلغ إلّا بالمزيد العلمي والمعرفي، والعمل المنتج، وإصلاح ذات البين، وتحدي الصّعاب بكلّ ما يمكّن من قهرها.

فالكائنات التي يظنّ البعض أنّها متطوّرة، نعتقد أنّ التطوّر يستوجب إرادة تمكّن من اتخاذ قرار من وسط مجموعة بدائل، وهذه الخاصيّة غير متوفّرة عند الكائنات التي لم تُخلق في أحسن تقويم، ولذلك؛ فالكائنات قابلة لأن تتغيّر، وفقا لقاعدة التكيّف بأسباب الضّرورة الطبيعية، وحتى إن دُرِّب منها ما دُرّب أو عُلّم؛ فهو لن يتطوّر كما هو حال الإنسان وارتقاؤه؛ فالإنسان خُلق متميّزا

بخصائص وصفات الارتقاء التي لم تكن من خصائص وصفات بقية الكائنات العاجزة عن صنع أمل يغيّر أحوالها.

ولذلك؛ فالإنسان في دائرة الممكن ارتقاء يتذكّر ما يؤلم وما يفرح، ويؤهّل حاله عن تدبّر بما يمكّنه من العمل المأمول إنتاجا، وفي ذات الوقت يفكّر في كيفيّة تمكّنه من بلوغ ما يجب أن يكون أفضل وأجود وأكثر ارتقاء.

ومع أنَّ الإنسان ارتقاء خُلق في أحسن تقويم، لكنّه بعلّة المعصية والشّهوة والرّغبة قد انحدر هبوطا منذ خلقه الأوّل، ومع ذلك منذ تلك اللحظة التي قُبلت فيها توبته، ظلّ آدم ومن بعده بنوه على الأمل في حاضرهم، ومع أنَّه الأمل في الزّمن الحاضر، لكنّه يتعلّق ارتقاء بما هو ماضٍ (تلك الجنّة التي خُلق فيها آدم)، وهو ما لم يتحقّق بعد.

ولذلك؛ فالتطوّر يمكن أن يكون خاضعا للمشاهدة مثل الإعمار وبناء الحضارات، وهذه من خاصيّة الإنسان التي لا يشاركه فيها غيره، ومن هنا، يُصبح الارتقاء في دائرة الممكن يستوجب بحثا علميّا مضنيا، وجهدا ينجز وفقا للأهداف المحدّدة والأغراض التي من ورائها والغايات المأمول بلوغها قمّة. وفي المقابل يمكن أن يكون التطوّر خاضعا للملاحظة مثل السّلوك وما يطرأ عليه من تغييرات

مقصودة، وهذه تشترك فيها كلّ المخلوقات بما فيها من خُلق في أحسن تقويم،

فالإنسان في دائرة الممكن، ارتقاؤه القيمي يُرسّخه قيمة في ذاته، قيمة تستوجب مزيدا من الاحترام والتقدير والاعتبار، وذلك بما يفسح له مجال العدل الممكّن من العلم، والعمل، والتملّك، والتمدّد إلى النّهاية دون أن يكون له تمدّدا على حساب الغير.

وهنا؛ فالممكن ارتقاء هو المتاح أملا وتذكّرا وتدبّرا وتفكّرا، وهو ما يمكن بلوغه قدرة واستطاعة، وهو ما لم يكن مستحيلا ولا معجزا حتى وإن كان صعب التحقّق، وهو الذي ليس له وجود لو لم يسبقه وجود خَلق ونشوء، ومع ذلك وجوده لا يعد إن لم يلاحق الخَلق والنشوء ارتقاء.

ولأنّه الممكِن ارتقاء؛ فهو بين متوقّع وغير متوقّع؛ فالمتوقّع منه هو الذي بحدوثه لا تحدث المفاجأة، ولا الاستغراب، ولا توضع علامات التعجّب. أمّا غير المتوقّع؛ فهو الذي لا تتوافر معطيات حدوثه بين أيدي النَّاس، ومع ذلك يقع، ممّا يجعله في حالة تساوٍ نسبي مع المتوقّع في دائرة الممكن، ولهذا، إذا ما حدث غير المتوقّع حدثت المفاجأة أو التعجّب والاستغراب.

فغير المتوقّع، يقع أو يحدث دون قراءات أو حسابات سابقة، أو نتيجة قصور في القراءات والحسابات السابقة على وقوعه، ممّا

يجعله يقع (هو كما هو) إثباتا. ومن هنا، ينبغي أن يتمَّ التعرُّف على غير المتوقّع وعلى علله ومسبّباته لاحقا ليتمَّ التعرُّف على نقاط الغفلة، أو القصور التي لم تؤخذ في الحسبان المتوقّع.

فالمتوقّع وغير المتوقّع متغيران رئيسان في دائرة الممكن، التي فيها تتساوى فرص ظهور كلّ منهما بنسبة ثابتة قدرها (50%) والمتوقّع يمكن أن يكون سالبا، ويمكن أن يكون موجبا؛ فالموجب منه لا يكون إلّا وفقا لما هو مأمول، والذين لا يأخذون حذرهم يرسمون خططهم وسياساتهم وفقا لما هو موجب متوقّع، وكأنَّ الحياة لا تُحفُّ بالمخاطر، وكأنَّ العلائق بين النَّاس لا تُبنى إلّا على الصّدق فقط، ولذلك؛ فهم دائما يفاجئون كونهم لم يحدّدوا لغير المتوقّع موضعا.

وعليه:

ينبغي أن تُرسم الخطط والسياسات والاستراتيجيات وفقا لدائرة الممكن التي تحتوي ما هو متوقّع موجبا وما هو متوقّع سالبا، وما هو غير متوقّع موجبا، وما وهو غير متوقّع سالبا.

وبما أنَّ الممكن ليس مستحيلا؛ فعلى الإنسان أنْ:

. يصنع له أملا عظيما.

. يفكّر فيما يفكّر فيه قبل أن يقرّر ويعمل.

ـ يخطّط لما هو غير متوقّع مثلما يخطط للمتوقّع.

ـ يعمل ارتقاء بلا تردّد ولا يأس، حتى يُرتَقَ الممكن بالمستحيل قمّة.

ـ يقبل تحدّي الصّعاب؛ فالصّعاب تُقهر، ولا مستحيل في دائرة الممكن، ولا استغراب، بل الاستغراب ألا يتمّ تحدّى الصّعاب التي تحول بين الإنسان ومأمولاته ارتقاء.

وبالتّالي فمن يرسم الخطط والاستراتيجيات ويعد البرامج وفقا لِما هو متوقّع، عليه أن يعرف أنَّ ما يفكّر فيه معرّض لمواجهة غير المتوقّع، ممّا يلفت انتباهه إلى التفكير في غير المتوقّع بخطط بديلة تواجه ما يمكن مواجهته من مواقف أو أضرار أو مخاطر قد تحدث، ولذلك؛ فالزّمن الحاضر هو زمن التخطيط والتدبّر والتذكّر والتفكّر وصنع الأمل، وهذا يعني: أنّ دائرة الممكن هي التي فيها ينصهر الزّمن حاضرا، أي: إنّ التذكّر الذي يرتبط بما هو ماضٍ، لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وكذلك التفكّر الذي يتعلّق أمره بما لم يتحقّق بعد لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وفي ذات الوقت يتدبّر الإنسان أمره وكأنّه لا يعيش الزّمن إلّا حاضرا. أي: إنّ الذي يتذكّر في دائرة الممكن لا يجب أن ينظر لما يتمّ تذكّره من الماضي وكأنّه لن يتكرّر، بل ينبغي أن يراه وكأنّه الآن يواجهه تحدٍّ، ممّا يجعله في وقته الحاضر متحدّيا له بحلولٍ حاسمة، وهكذا، ينبغي أن يفكّر فيما يمكن أن

يواجهه مغالبة، حتى لا يحدث وتحدث المفاجئات المؤلمة التي تؤدّي إلى الانتكاسة أو الانحدار، بدلا من أن تؤدّي إلى بلوغ القمّة ونيل المأمول.

فالممكن احتمالا يسبق ما يمكن أن يكون محتملا أو غير محتملٍ، وهكذا حال الأمل، ولهذا؛ فلا يتحقّق الممكن إلّا في دائرة الحاضر، حتى وإن أصبح ذلك المتحقّق في دائرة الزّمان مسجّلا؛ فالممكن المتوقّع وغير المتوقّع في زمنه الحاضر يسبق حدوث الفعل كما يسبق أمل الآمل مأموله، ومن ثمّ، يضل الممكن تحت الانتظار إلى أن يتحقّق أو لا يتحقّق، ومن هنا، يصبح للممكن مصادق تثبت حدوثه أو تبطل حدوثه.

فالممكن في زمنه الحاضر يُلاحق العبر والمواعظ، ويتزامن مع التدبّر، ويسبق المأمول حتى يتمّ بلوغه ارتقاء؛ ففي الزّمن الحاضر لا انتظار لشيء يعود إلّا استدعاء ذاكرة، ولا انتظار لشيء يأتي وهو لم يكن شيئا، ولا شيء يحدث إلّا في الزّمن الحاضر.

وبما أنَّ في دائرة الممكن لا وجود للمستحيل، إذن؛ فمن الممكن التفكير في المستحيل حتى معرفته مستحيلا، وعندها يدرك الإنسان أنّه في حاجة لمزيد من الارتقاء، ومع أنَّ الإنسان يتوقّع ما هو ممكن، ولكنَّه قد لا يستطيع تحقيقه بأسباب قصور قدرته

ومحدودية إمكاناته، وبالرّغم من ذلك؛ فعليه أن يعمل مع من يمكّنه من الارتقاء تحدٍّ؛ فالصّعاب لا تصمد أمام التحدّي.

ولهذا؛ فالإنسان يتذكّر ويتدبّر ويفكّر في كلّ ما من شأنه أن يُظهر له ممكنا، ويمكّنه من إنجازه، أو تحقيقه بغرض الارتقاء إلى ما هو غاية.

وبما أنَّ كلّ شيء ممكنا؛ فلِمَ لا نفكّر فيه بلا قيود؟ حتى وأن وضعت عليه القيود علّة بأيّة علّة؛ فيجب أن تفكّ العلل مع القيود، ولكن إن لم تفكّ العلل والقيود؛ فعلامات الاستفهام والاستغراب وأفعال المواجهة ستكون ارتقاء في الميادين والشّمس في كبد السّماء. ولذلك؛ فالاستغراب يَحدث عندما يَحدث غير المتوقّع في الزّمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقّع، وهنا تكمن المفاجأة، التي لا تظهر إلّا بغفلة عمّا هو غير متوقّع.

ومع أنَّ في دائرة الممكن يتساوى حجم المتوقّع مع غير متوقّع، ولكن تظل دائرة الممكن واسعة؛ فمهما فكّرنا؛ فلن نبلغ كلّ ما نفكّر فيه؛ فعلى سبيل المثال: البحث عن العمل، لو لم يكن ممكنا، ما كان البحث عنه، ولهذا؛ فالبحث عن العمل ممكن، والحصول عليه ممكن، وعدم الحصول عليه ممكن أيضا. ولكن إذا قُدِّمت لك الإهانات التي لم تكن في الحسبان، وأنت تبحث عن فرصة عمل كما قُدِّمت إلى محمَّد أبو عزيزي بمدينة سيدي أبو زيد بتونس الذي

كان الأمر بالنّسبة إليه غير متوقّع، وذلك في مقابل ما اتخذه من فعل (الاحتراق) الذي لم يكن هو الآخر متوقّعا من قبل الذين قدّموا له الإهانات، ممّا ترتّب على الفعلين غير المتوقّعين فعل ثالث غير متوقّع، ألّا وهو الثورة، التي لم تطفئ نارها إلّا بسقوط نظام الرئيس التونسي زين العابدين بن علي من قمّة السُلّم السّلطاني.

ولذا؛ فالعلاقة بين المتوقّع وغير المتوقّع هي علاقة ممكن (قاعدة واستثناء)؛ فحيثما كانت القاعدة كان الاستثناء متلازما معها، ومن هنا، يجب التفكير وفقا للقاعدة دون الغفلة عن الاستثناء، ومن يغفل عنها؛ فليس له إلّا المزيد من المفاجئات.

وبما أنَّ الارتقاء ممكنا؛ فلا مستحيل ولا معجز في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تدليل الصّعاب كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصّعاب إن لم تداهم ارتقاء، لابدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة.

ومع أنَّه لا صعب أمام قبول التحدّي والمزيد من بذل الجهد ارتقاء، ولكن لا ارتقاء لخرق المستحيل والعجز؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدِّي الصِّعاب) أمّا لاستثناء: (الاستسلام إليها).

ولأنّ الممكن ارتقاء يُمكّن من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه، ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر؛ فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

فالتهيّؤ في دائرة الممكن هو ارتقاء لأداء العمل الموجب، وكذلك هو ارتقاء لمواجهة ما يمكن أن يكون من فعل سالب؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل؛ فهي تُرسم لمقاومة المعيقين له، ومتى ما بلغ الإنسان التهيؤ إرادة، بلغ القناعة المحفّزة والدافعة إلى تنفيذ العمل ومواجهة ما يعيقه من صعوبات، ولذلك؛ فالذين يتهيّؤون إلى ارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان هم يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكلّ قوّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته؛ فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيدهم على الزّناد مرتعشة ، وهنا يوجد مفتاحا.

إذن؛ فمن تهيّأ واستعد لعملٍ وأقدم عليه ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيه، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا؛ فالتهيّؤ للقول يؤدّي إلى الاستعداد لأنّ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، ولكن إن لم يعقب التهيؤ استعداد؛ فلا إمكانية، حيث لا إرادة، ولذلك؛ فإنّ غياب الإرادة يغيّب كلّ من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتِّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما.

ومع أنَّه لا إمكانية للارتقاء بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وإن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

فالتأهّب يؤجج في النّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء بعد تهيّؤ وإرادة

واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنفِّد ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذن؛ فمن يتأهّب لأداء الفعل ارتقاء لابدّ وأن يكون متأهّبا لما يترتّب عليه من ردّة فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجئات في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، ومن هنا، تصبح الغاية هي: تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحا مساندا.

ولذلك؛ فالغاية من بعد الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، ولكنّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدون إليها، ويتأهبون لحسم الأمر، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات ونيل المأمولات من بعدها رفعة.

ولأنّ النّشوء في دائرة الممكن ارتقاء يمكّن من بلوغ الغايات؛ فالمزيد من التّأهب إليه يُسرِع بحركة إحداث النُقلة مع تسارع امتداد

الكون إلى النّهاية؛ ولهذا، لن تستطيع تلك الأنظمة المعيقة للارتقاء أن تصمد أمام التسارع ارتقاء تجاه إحداث النقلة المأمولة، بل كلّ الأنظمة التي رَكِب أصحابها المصاعد إلى الأسطح، ولم يضعوا في حسبانهم أنّه لا نزول إلّا من خلالها؛ فهم صَعدوها بلا سلالم، وبقوا هناك إلى أن أُسقِطَ بهم أرضا.

ومن هنا، كان الفأر أكثر فطنة وذكاء من تلك القمم التي صعدت وبقيت هناك؛ فالفأر ذات مرّة سُئل:

لماذا أيّها الفأر عندما تشعر بخطر تبدأ اللعب بذيلك؟

فقال:

ألا يكون من الأفضل لي أن ألعب بذيلي بدلا من أنْ ألعب برأسي؛ فأنا عندما ألعب بذيلي أفكر، ولكن عندما ألعب برأسي يُلعب بي.

وعليه:

فمن أجل ألا يتكرر اللعب بالرّؤوس، ينبغي أن يحيوا النّاس، ويموت الموت الذي كتب عليهم بعلل الفقر، والمرض، والألم، ثمّ يُقضى عدالة على الهيمنة، والحرمان، والإقصاء، ويفسح المجال للحقوق أن تمارس، والواجبات أن تؤدّى، والمسؤوليات أن تُحمل، دون أن تكون الحاجات في حاجة للإشباع. ودون أن يكون من

بعد العلم جهل بذلك الصفر الذي من بعده أصبح الكون وجودا متمدّدا ومتسارعا.

توليد الأمل:

توليد الأمل هو توليد الشيء من الشيء، فمن المفيد أن تنظر إلى أولئك الذين سبقوك أملا وارتقاء، ومن المفيد أن تضطّلع على تجارب الآخرين، ومن المفيد أن تشترك مع الغير في توليد الآمال، ومن المفيد أن تسأل أصحاب الحكمة، ومن المفيد ألّا تستقر على روتينٍ قد تجاوزه الزّمن، ومن المفيد أن تتطلّع لأيّ شيء مفيد.

ولأنَّ توليد الأمل هو توليد الشيء من الشيء، إذن: فلا استحالة، مع العلم أنّ الأشياء وفرة في كلّ مكان، ولِمَ لا تصنع من الشجرة بابا؟ ولِمَ لا تصنع من القطن ملبسا؟ ولِمَ لا تفكّر فيما تفكّر فيه قبل قوله؟ ولِمَ لا تقيّم نفسك عند كلّ قصور؟ ولِمَ لا تفكّر في تطوير أساليب العمل الذي جعل منك روتين ولا تجديد؟ ولِمَ لا تتحدّى نفسك قبل أن يتحداك الغير؟ وعليك أن تعرف أنّ كلّ شيء يتجّدد ويتطوّر ويتولّد فلا تغفل أكثر ممّا غفلته. وعليك أن تنظر إلى الكون وكيف يتمدّد ويتسع ويتسارع توليدا. فقد خلق الله تعالى الكون والأرض لم تكن إلّا جزءا منه، وأنبت آدم وزوجه من الأرض نباتا (توليدا).

ولذلك فتوليد الشيء من الشيء بين نشوء وصنعة؛ فالشيء لا يكون إلّا خلقا، أمّا توليد الشيء من الشيء فلا يكون إلّا نشوء، وكل هذا بيد الله تعالى، أمّا الذي بين يدينا إن عملنا استطعنا أن نولّد من الشيء شيئا.

ولأنّ النّشوء لا يكون إلّا من شيءٍ، كانت الأرض وكان نشوؤنا منها، ولو لم يكن اللاشيء، ما كانت الأرض شيئا منه، ولو لم يكن الانفجار العظيم ما كان اللاشيء شيئا، ولو لم تكن تلك الذّرة، ما كان ذلك الانفجار العظيم، ولو لم يكن الخالق ما خُلق شيء قال تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[23].

ومع أنَّ الله خلق كلّ شيء وهو الخلّاق لما يشاء، متى ما يشاء، كيفما يشاء، وأينما يشاء، ولكنَّ البشر لا يعلمون كلّ ما خُلق؛ فهناك ما يعلمونه خبرا، وهناك ما يأخذونه أمرا ونهيا، وهناك ما يدركونه عقلا، وهناك ما يرونه مشاهدة؛ فالبشر كما يسلّمون يقينا بما يعلمونه؛ فهم يؤمنون يقينا غيبيا بما يجهلونه؛ فعلى سبيل المثال: المؤمنون يعلمون بالسّاعة، ولكنّهم يجهلون ساعتها، ويعلمون بالنّعيم ويجهلون نعمه، ويعلمون أنّ السّماوات والأرض كانتا رتقا، ويجهلون كيفية فتقها.

---

[23] المائدة 17.

ومع أنَّ النّشوء مترتّب وجودا على ما خلق، لكنّه لا يكون إلّا وفقا للمشيئة، التي هي دائما سابقة على الشيء، أي: لا شيء ينشأ ويُخلق إلّا من مشيئة الخالق. ومشيئة المشيء إرادة خَلقية، خَلقت تلك الذّرة، وفجّرتها خلقا آخر، ولذلك؛ فَخَلق الشيء من الشيء وجَعلهِ على الهيئة والصّفة يعد نشوءا من مشيئة الخالق.

ولذلك؛ فالعقل المتأمّل في الوجود الخلقي يدرك إنّ وراء كلّ شيء مشيء له؛ فلو لم يشئه ما كان شيئا، وبما أنّه أصبح شيئا؛ فهو لم يكن إلّا وفق مشيئة، وهذه تستوجب: مقدرة خلقية، وخالق يهيئ المخلوق للخلق قبل أن يخلقه، ومن ثمّ؛ فلا شيء إلّا من مشيء، {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا}[24].

ولأنَّ خلق الشيءِ من الشيء يعد نشوءا، إذن؛ فلا نشوء إلّا والحياة تملؤه؛ فالأرض لو لم تكن على الحياة، ما كان ترابها صالحا لخلق الإنسان، وإنباته مثل النبات نباتا. إنّه النّبات الذي من بعده لا تخلق الكائنات من الكائنات إلّا تزاوجا.

ولذلك؛ كان الخَلق أوّلا، ثمّ جاء النّشوء مترتّب عليه، ومن بعده جاء خلق الأزواج من طين، ثمّ جاء خلق التزاوج من نطفة؛ فكان التكاثر على التسيير فيما لا شأن للإنسان به، وكان التخيير

[24] الأنعام 80.

وفقا للإرادة والرّغبة التي تمتدّ بين شهوة عاطفية، وبين خُلقٍ وحُسن تدبّر وضبط ضمير.

ولأنّ الكون لا يخرج عن كونه شيئا؛ فالشيء لا يمكن أن يكون إلّا مخلوقا. ولأنّه المخلوق؛ فلا يمكن أن يكون خالقا؛ فالخالق (لا يكون شيئا، ولا يكون لا شيئا، ولا يكون شيئا آخر). بل هو الخالق، الذي يَخلق ولا يُخلق.

وعليه فإنَّ الأشياء المخلوقة لابدّ وأن تتولّد من بعضها البعض، وتتناسل من بعضها البعض بقوّة خارجة عنها، انطلاقا من أنّ (المخلوق لا يمكن أن يخلق نفسه) ومن ثم؛ فإنَّ تتبّع استمداد الشيء من الشيء المستمدّ منه، أو المخلوق من المخلوق منه يعد الطريق العلمي الممكّن من معرفة الخالق عن بيّنة وعلم تامّ، وهو الممكن من توليد الشيء من الشيء، فَلِمَ لا ننظر ونستطلع ونستقرأ ونتطلّع ثمّ نعمل؟

لقد بيّن الله لنا الشيء خلقا، ثمّ نشوءا (خلق من خلق) أي: خلق الشيء من الشيء؛ وذلك ليبيّن لنا آياته إعجازا، ثمّ ليفسح أمامنا إمكانية توليد الشيء من الشيء أملا؛ فعمل أصحاب العقول ما عملوا توليدا (تكاثرا) دون أن يخلقوا شيئا. لأنّ الخلق استحالة بالنسبة إلينا؛ لأنّه فعل الخالق {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ

كُنْ فَيَكُونُ}[25]، أمّا توليد الشيء من الشيء فهو الممكن، فتولّد الفكرة من الفكرة أملا يصنع مستقبلا قبل أن يأتي إلينا.

ولأنّ الخالق جعل الجنّة مأمولة للمؤمنين، فكان عليهم العمل من أجل بلوغها؛ مصداقا لقوله تعالى: {أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[26]، أي: لا جنّة بلا عمل، وهذا يعني لا عمل بلا أمل؛ فمن كان له أملا، عمل عليه، ومن لم يولّد أمل في نفسه وعقله فلا مأمول له؛ ممّا يجعل وجوده عبئا على نفسه وعلى الغير.

فالله تعالى جعل لنا مأمولا عظيما (الجنة)، ويودّ أن تكون لنا فيه مكانة، فقال: {وَقُلِ اعملوا}[27]، أي: اعملوا حتى تولّد لكم آمال تمكّنكم من بلوغ الجنة والفوز بها؛ فهو كمن يقول: إنّها تنتظركم فلا تتأخروا عنها؛ فاعملوا كلّ ما من شأنه أن يمكّنكم من الرّشد والغنا والمتعة والرفاهية والسّلام والأمن، فهذه إن كانت في مرضاة الله تقرّبكم من أبواب الجنة، أي: وكأنّه يقول: تجنّبوا ما يؤدّي بكم

---

25 يس 82.

26 الواقعة 11 . 24.

27 التوبة 105.

إلى الألم والفقر؛ فالألم لا مكان له في الجنة، والفقر لا مكان له في الجنّة، ومن يعيشهما إرادة فهو كمن يتمنّع عن الاقتراب من أبواب الجنّة؛ أي: لِمَ لا نكون أغنياء؟ ولماذا البعض غني والبعض فقير؟

أقول:

العمل وحده هو الفارق.

ولكن أيّ عمل؟

العمل المرضي لله تعالى، وهو المرضي للنفس والآخر في وقت واحد. ولهذا العمل غير المرضي قد يشبع حاجة، ولكنّه لا يمكّن من نيل المأمول؛ فهو قد يجعلك متباهيا ومتكبّرا ومفسدا وهذه الصفات لا تؤدّي بأصحابها إلى الفوز بالمأمول.

ولأنّ الله يريدنا أغنياء بنعيمه في الدارين؛ فجعل لنا الخيرات في الدارين مع الفارق في المقارنة، وللفوز بالعيش النعيم قال (اعملوا) وبعث رسله يحثون على العمل مصداقا لقوله تعالى: {وَيَاقَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}[28]. أي: اعملوا ما استطعتم حتى تبلغوا الغناء رشدا (غناء النفس والعقل والقلب والمال) بمعنى: اعملوا الخيرات الحسان بلا تردّد، وولّدوا ممّا تعملون آمالا تطوى بها المسافة بينكم وبين المأمول العظيم الذي ينتظركم. أي: يا فقراء النفس ولّدوا

[28] هود 93.

الغناء في نفوسكم كلمة طيبة، وولّدوا الغناء في عقولكم فكرة منتجة، وولّدوا الغناء في قلوبكم محبّة لله وعبيده، وولّدوا الغناء في أعمالكم وجهودكم تحدّ للفقر. ولا استغراب؛ فكل شيء ممكن في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع؛ فلا تتأخروا إن أردتم بلوغ الجنّة.

وعليكم جميعا أن تفكّروا حتى تستطيعوا توليد الفكرة من الفكرة وتوليد الأمل من الأمل، وعليكم بإدارة الزّمن، وعليكم بامتلاك الإرادة التي لا تكون إلّا بقرار منكم؛ فاتخذوه قرارا، وفي كلّ قرار عليكم بتقوى الله. فإن فعلتم ذلك لا شكّ أن الجنة ستقترب منكم أكثر ممّا تقتربون إليها.

ومع ذلك فكّروا؛ فالتفكير المتّزن يخرج من التأزمات ويخلّص من الآلام والمواجع. ومنه تولد الفكرة فكرة أعظم؛ فهي وإن كانت فكرة مجرّدة لكنّها قد تتولّد من الشيء المشاهد أو الملاحظ، كما تتولّد وتستمدّ القوانين من المعطيات الكونية والطّبيعية، ولأنّ الفكرة مولود العقل؛ فهي متى ما وُلدت فيه، ولّدت منه رؤية لشيء قابل للتحقّق بين أيدي النّاس، وهي لا تكون كذلك إلّا بتلاقح الآراء (سالبها وموجبها)، وكلّما كثرت المستفزّات الخَلقيّة والخُلقيّة أثارت العقل انتباها لما يجب؛ فتدفعه حيويّة الحيرة تجاه التخلّص من العَتَمة التي تَحول بين المحيّر والمأمول.

فالفكرة لا تلد في الخارج، بل الخارج يستفّز العقل ويُلفته إلى ما يُمكِن أن يُستكشف؛ فيبدأ العقل إعماله تجاه المستفزّ والحيرة تلازمه حتى يبلغه، وحينها لا تجد الحيرة مكانا لها عند المستكشف معرفة، أي: لا يمكن أن تبقى الحيرة مع التجلّي المعرفي، بل تبقى مع بقاء اللبس والغموض، وفي المقابل تزول بزوالهما.

والفكرة تعد صوغا عقليّا لمولودٍ لم يولد بعد؛ وهو بعد الولادة لن يكون فكرة، بل شيئا غيرها، ولكنّه المؤسّس عليها؛ فلو لم تكن ما كان، ولهذا؛ فالفكرة هي استنباط الشيء من الشيء، بعد تهيّئه على الشّكل أو الصّورة أو الرّسالة والموضوع، ممّا يجعل المستنبط في صورة موضوع عام، حيث لا تفصيل؛ فالتفصيل لا يكون إلّا للموضوع الذي تمدّدت الفكرة فيه بداية ونهاية، والفكرة هي الفكرة، والموضوع ارتقاء لا يكون إلّا المفسّر للفكرة إيضاحا.

فبعد أن تطوّر الإنسان من حياة الفطرة والتقليد إلى حياة الإنباء والفكرة، أصبح يُبدع استكشافا، وليس خَلقا، ذلك لأنّ المخلوق لا يَخلق، ولكنّه في دائرة الممكن يكتشف المخلوقات، ثمّ يكتشف منها أسرارا كانت مجهولة؛ فيكتشفها بحثا، وتأملا، واستنباطا، واستقراء، ثمّ يوظّفها أملا بما يعود عليه بالمنفعة، وهكذا هي الحياة والإنسان فيها يتطوّر بالفكرة، ومع ذلك لم يكن التفكير

كلّه مؤسّسا على استنباط الفكرة ارتقاء، بل هناك من الفكرة ما يؤدّي إلى السُفلية والانحدار.

ومع أنَّ الفكرة تلد في العقل البشري بداية بمستفزّات خارجية، ولكنّها بعد أن تلد منه إنتاجا، تصبح وفقا للقدرة قابلة للانتقال من عقلٍ إلى عقلٍ مع وافر التأثير، سواء أكان تأثيرا موجبا، أم سالبا، وعندما تكون الفكرة بنائية، تدفع المتلقِّين لها إلى الارتقاء، ولكن إن كانت هدّامة؛ فستدفع بمتلقيها إلى ارتكاب الأعمال الدُّونية. ومع ذلك؛ فالعيب لا يلاحق الفكرة المجرّدة، بل العيب يلاحق من كان من ورائها (من أوجدها)؛ الذي فكّر فيما يضرّ في الوقت الذي ينبغي أن يفكّر فيه فيما يفيد وينفع، وهنا تكمن العلّة، أي: تكمن العلّة في أصحاب الفكرة الهدّامة سواء الذين أنتجوها، أم أولئك الذين سوّقوا لها ووظّفوها.

وعليه:

ينبغي ألّا ننظر للمستقبل وكأنّه الزّمن المجرّد، بل ينبغي أن ننظر إليه مأمولا فيه الخلاص من كلّ همٍّ وغمٍّ، ومن كلّ حاجة وفاقة، ومن كلّ مرض وداء، ومن كلّ ظلم وعدوان، ومن كلّ ضعف ووهن، أي: فإن نظرنا إليه مجرّد زمن سنكون في خانة الكسالى المنتظرين، وإن نظرنا إليه مأمولا فليس لنا إلّا العمل من أجل بلوغه ونيله أو الفوز به.

ولسائل أن يسأل:

ممّا يتولّد الأمل؟

. من التذكّر الذي يلفت العقل إلى قراءة التاريخ وأخذ العبر والمواعظ منه.

. التأمّل في المشاهد حتى معرفة المجرّد الذي من ورائه.

. التدبّر الذي لا يتيسّر إلّا بعد استقراء واستطلاع للواقع كما هو بهدف تغييره إلى ما ينبغي أن يكون عليه.

. التفكير فيما يجب بلا عواطف مع القبول بدفع الثمن من أجل الأفضل المأمول.

وعليه: لم يكن الأمل استقراء المستقبل، بل الأمل: العمل من أجل بلوغ المستقبل، أي: إنّ أصحاب الآمال العريضة لا ينظرون للمستقبل زمنا مجرّدا، بل ينظرونه الحياة المأمولة، التي فيها التيسير مخلّصا من كلّ تعسير؛ ولهذا فهم يسابقون الزّمن عملا منتجا ومبدعا. ومن ثمّ فالآملون ليس لهم وقت للانتظار، وهذا الأمر أخرجهم من خانة المستهلكين إلى خانة المنتجين، ومن خانة الضعفاء إلى خانة الأقوياء، ومن خانة الفقراء إلى خانة الأغنياء، ومن خانة المستسلمين إلى خانة المتحدّين.

فالأمل كونه من إنتاج العقل، لا يستمدّ إلّا من واقع في حاجة لأن يُطوّر أو يغيّر؛ لأنّ معظم الآمال هي نتاج استشعار معضلة تستوجب حلّا، ومتى ما بلغ الإنسان حلّا اكتشف معضلة أخرى تلفت عقله وتستثيره تفكيرا بغاية بلوغ المأمول حلّا؛ فيفكّر تدبّرا حتى يقتنص لها حلّا من خلال بحث يتّضح فيه أثر المتغيّرات المستقلّة والمتداخلة في كلّ معضلة، وكلّما ازداد عدد المشاكل والمعضلات الحياتية يفترض أن تتولّد آمال منقذة.

ولأنّ الإنسان في دائرة الممكن خُلق مخيّرا؛ فينبغي أنْ يفكّر فيما يشاء كيفما يشاء والأمل لا يفارقه، فيقبل ويرفض، ويخطئ ويصيب؛ وبإمكانه أن يتطوّر ارتقاء، أو أن يتخلّف وينحدر دونية. ولأنّه مخيّر؛ فله من المشيئة في دائرة الممكن ما له، يأمل أو لا يأمل، يؤمن ويكفر أو يشرك كما يشاء، ذلك لأنَّ كلّ شيء في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع هو بين يديه إرادة.

صناعةُ الأمل:

الأمل كونه استشعار الحيوية والمقدرة فهو قابل لأن يتمدّد قوّة تجاه المأمول رغبة وإرادة، ومع ذلك فالأمل لم يكن قالبا جاهزا، بل مولود تلك الحيرة التي تجول في العقل وتستفزّه تفكيرا وبحثا عمّا يجب حتى يَرشُدَ معرفة تقتنص مأمولا، يستوجب جهدا يبذل لنيله.

ومن ثمّ فالأمل لا يصنع إلّا والحيرة تسبقه تفكيرا وبحثا وتدبّرا حتى تنجلي غيوم الذّهن والنفس فكرة ترشد لما يفكّ التأزمات ويخلّص من القلق ويمكّن من العمل المنقذ ممّا يخيف ويؤلم.

ولأنّ الفكرة أملا مولود العقل؛ فهي متى ما وُلدت فيه، ولّدت منه رؤية لشيء قابل للتحقّق بين أيدي النّاس، وهي لا تكون كذلك إلّا بتلاقح الآراء (سالبها وموجبها)، وكلّما كثرت المستفزّات الخَلقيّة والخُلقيّة أثارت العقل انتباها لما يجب؛ فتدفعه حيويّة الحيرة تجاه التخلّص من العَتَمة التي تَحول بين المحيّر والمأمول.

ومع أنَّ الفكرة تخلّص من الحيرة، لكنّها لا تكون ارتقاء إلّا من بعدها؛ فالحيرة بالنّسبة للفكرة تعد مخاض ولادة، وولادة الفكرة بدون حيرة تسبقها، هي: ولادة قسرية؛ فلا يمكن أن يتطابق الزّمن الافتراضي لولادتها مع زمن قسريتها، فتلد مشوّهة، وبالتالي ستكون الحلول أو المعالجات أو الإصلاحات المترتّبة عليها منقوصة، أو منحرفة تجاه المخالف للمأمول ارتقاء.

ومع أنَّ هذا الأمر يعد سالبا بالنّسبة إلى الفكرة ارتقاء، لكنّه الأمر المحيّر والمستفزّ لعقول الآخرين إيجابا، ممّا يحفّزهم ويدفعهم إلى الالتفات تجاه المحيّر، حتى تلد الحيرة فكرة، تخرج من التأزّم.

ومع أنَّ زمن الحيرة الفكرية مُقلق لمن ألمت به وألمّ بها، ولكنّه المخاض الذي ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنّفس، وما يسرّ الغير

ارتقاء، ولذلك؛ فالبحوث العلمية ارتقاء تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة الجديد المحفّز على حيرة جديدة من بعدها محيرات تُمكّن من إضافة ما هو أفيد وأنفع.

إذن: فلا داعي للقلق من الحيرة؛ فقلق الحيرة يُمكّن من الإلمام بالمحيّر حتى يُقتنص له حلّ، ومن لا حيرة تستفزّه؛ فعليه أن يفكّر في الشيء استحالة أو إعجازا أو ممكننا حتى يقتنص حيرة بها يقتنص فكرة تلد له أملا وحلّا.

وهذا لا يعني: أن تكون الحيرة غاية في ذاتها، بل الغاية من ورائها مأمول، ولكن هذا الأمر يتطلّب مقدرة على تحدّي المقلق بما يُقلقه، حتى يصبح القلق بولادة الفكرة في خبر كان؛ فأهل العلم والبحث العلمي لا يمكن أن يصلوا إلى غاية الارتقاء إلّا بعد الحيرة، ومن لا يقبل الجلوس مع الحيرة تحدٍّ؛ فلا إمكانية لأن يُكتب له التحدّي في ميادين العلم والمعرفة المصنّفة.

فالحيرة العلمية لا تواجه إلا الجادّين، ولهذا ينبغي أن نعرف أنّ الحيرة درجة متقدّمة من التفكير العلمي الذي ينبغي على الباحث تقبُّله وعدم الحياد عنه إلى أن يصل بتفكيره المنظّم إلى الانتباه الذي يقوده إلى الاختيار واتخاذ القرار عن وعي وإرادة ويقين حيث لا خروج من الحيرة العلمية إلا بتحديد موضوع البحث الذي

تمحور على إشكالية لا مفرّ من البحث فيها إن أردنا بلوغ المأمول ونيله.

وكما أنّ الحيرة يقظة عقلية تستوجب مواجهة القلق بما يُقلقه؛ فكذلك الصّعب يعد معطية مثيرة للعقل ومستفّزة لملكاته التي تتحفّز إلى المواجهة معه متى ما اعترض طريقها، ومن هنا، بدأت مواجهة العقل للصّعب تحدٍّ من ورائه تحدٍّ، وفي المقابل الصّعب يقدِّم التنازل من بعد التنازل.

فالصّعب ليس بالمستحيل ولا المعجز، حتى يستحال تحدّيه، بل ميادين تحدي الصّعب فسيحة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع وبخاصّة من الآملين، فهم لا يخافون مواجهة الصّعب، بل الخوف بالنسبة إليهم ألا تحدث المواجهة معه؛ فالمواجهة العقلية معه كلّما حدثت عن تدبّر فكرة، أنتج العقل فكرة أكثر ارتقاء، ولذا، ستظل الفكرة عقلية إلى حين استخراجها فيما يمكن أن يكون على الشّكل أو الصّورة، أو المفهوم والدّلالة والمعنى، والتجسّد سلوكا.

ومع أنَّ العقل مكمن الفكرة، لكنّه أيضا منبع الأمل، ومع أنَّهما معا من إعمال العقل وفي محفظته، إلا أنّ الأمل يتعلّق بالغايات الخارجية، التي في دائرة الممكن لا تُبلغ إلّا تخييرا وإرادة؛ فمن يمتلك الإرادة يستطيع الاختيار الممكّن من التدبّر وحمْل المسؤولية، ومن لا

يمتلكها، فإشارة قف لا تسمح له بالعبور إلى ضفاف الارتقاء؛ ولذلك؛ وراء كلّ غاية مأمول.

ولأنّه الأمل صنعا؛ فهو لم يكن معجزا ولا مستحيلا، ولأنّه لم يكن كذلك، فَلِمَ لا يُصنع! أي: لا استغراب من صنع الأمل، بل الاستغراب ألا يتم الإقدام على صنعه. وصنع الأمل يستوجب:

ـ إرادة.

ـ تحدّ.

ـ مقدرة.

ـ تخطيط.

ـ إعداد عدّة.

ـ صبر.

ـ إمكانات.

ـ عزيمة.

ـ إدارة زمن.

إذن: الأمل لا يُمنح من أحدٍ، فلا داعٍ للانتظار، أو حتى للالتفات، فمن أراد أملا فعليه بعقله دون الاتكاء على عقول الغير؛ فالغير يمكن أن يعطوك رأيا أو يقدّموا لك رؤية، ولكنّهم لن يعطوك

أملا حتى وإن أرشدوك إلى مستقبل يرونه أفضل؛ فلا تعتمد على أصابع الغير في حكّ جلدك.

الأمل تستفزّه الحاجة المدخلة للحيرة التي فيها يجد العقل نشاطه الفكري كلّما وجد الصبر في النفس مكانة، ولكن أن رفضته النفس قلقا، فلا إمكانية لصناعة الأمل. وفي المقابل كلّما وثقت النفس في حيرة العقل فكرا، وجد الأمل مكانا يتربّع عليه. ولذلك تعد القلوب الصافية والنفوس الصافية أماكن ولادة الأمل تيسيرا، أمّا أولئك الذين ضاقت نفوسهم حقدا ومكرا وكيدا وحسدا؛ فلا إمكانية لديهم تصنع أملا.

الأمل لا تصنعه الصدف، بل القصد وحده قادر على صنعه، فلم لا نتوجّه لصنع الأمل بما أنّ غيرنا قد صنعوا آمالا؟

ولهذا فصناعة الأمل تتطلّب:

- وضوح المأمول.
- مثابرة جادة.
- مكاشفة النفس.
- بذل الجهد.
- قبول دفع الثّمن.

ـ الاستعانة بأهل الحكمة والدراية.

ـ أخذ العبر من التاريخ.

ـ الدراية بما يجب قبل الإقدام على ما يجب.

وعليه:

ـ فكّر فيما تفكّر فيه حتى يصبح أملا يشبع رغبة مرضية ولا تكون على حساب الغير.

ـ جمّع قواك العقلية والفكرية وخطّط بما يمكّنك من تفادي الصّعاب وأنت تعمل من أجل بلوغ المأمول.

ـ حشّد الإمكانات وعدّ العدّة المناسبة لبلوغ المأمول.

ـ انزع التردّد من نفسك وتقدّم قوّة تصنع المستقبل المأمول قمّة.

ـ استعن بمن يمدّك قوّة تُسهم في اختصار الزّمن وتقليل الخسائر.

ـ اعرف أنّك كلّما أنجزت هدفا، وجب عليك تحديد أهداف أخرى أكثر أهمية حتى تحدث النُقلة إلى الأفضل المرتقب.

وبما أنَّ كلّ شيء ممكن؛ فلِمَ لا نفكّر فيه بلا قيود؟ حتى وأن وضعت عليه القيود علّة بأيّة علّة؛ فيجب أن تفكّ العلل مع القيود،

ولكن إن لم تفكّ العلل والقيود؛ فعلامات الاستفهام والاستغراب وأفعال المواجهة ستكون ارتقاء في الميادين والشّمس في كبد السّماء. ولذلك؛ فالاستغراب يَحدث عندما يَحدث غير المتوقّع في الزّمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقّع، وهنا تكمن المفاجأة، التي لا تظهر إلّا بغفلة عمّا هو غير متوقّع.

وعليه فصُنع الأمل ارتقاء يستوجب:

. دفع أفراد المجتمع إلى العمل المنتج الذي يُمكِّنهم من الوفرة التي تُسهِم في إشباع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة؛ ليعيشوا حياة تعليمية وصحية واقتصادية مرضية.

. دفع الأفراد إلى ميادين العمل المنتج التي فيها يتمكّنون من إشباع حاجاتهم للمشرب والمأكل والملبس والتنقّل، وإلا سيظلون في عازه ممّا يجعلهم بعيدين عن محققات الرّفاهية الاجتماعية وصنع المستقبل ارتقاء.

. تفطين أفراد المجتمع إلى ما يؤدّي إلى إشباع الحاجات الضّرورية، وإلى ما يؤدّي من بعدها إلى إشباع الحاجات الكمالية المتطوِّرة.

. دفع أفراد المجتمع إلى زيادة الإنتاج حيث الحاجات المتطوّرة التي تبحث عن مشبعات غير ثابتة، فما كان لا يعد حاجة ضرورية

في الزّمن الماضي أصبح من الأولويات في هذا العصر، وهكذا هي الحاجات تتطوّر عبر العصور وستظل دائما على هذه المنوال ارتقاء.

. تفطين مؤسّسات المجتمع الخدمية والإنتاجية وهيئاته وشركاته؛ لاستيعاب أفكار العاملين والمتعلمين والاستجابة لمطالبهم المتطوّرة ورغباتهم المتنوّعة مع حركة التغير والتطوّر.

. تنظيم العلاقة بين رغبات العملاء وبين ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية، التي قد لا تمكِّنهم من بلوغ مشبعات رغباتهم ما لم يستثمروا كلّ ما لديهم من طاقات مع مضاعفة الجهد المبذول تجاه محقّقاتها.

. تفطين الأفراد من انغلاقهم داخل دائرة الذّات الاجتماعية إلى الانفتاح على الآخرين والتعرّف على ما يمتلكونه من منافع وعلوم وتقنية وتعلمها والأخذ بأسبابها.

. تنمية روح الطموح والتّجدّد لدي أفراد المجتمع حتى يتطلّعوا إلى صناعة المستقبل الذي يمدّهم بأسباب بناء الذّات ودخولها ميادين المنافسة والإنتاج العلمي والبناء الحضاري.

. ترشيد الأفراد بما يؤدّي بهم إلى تنظيم حياتهم وتقدير ظروفهم في ضوء الظّروف المحيطة والمتطوِّرة؛ ليكوِّنوا علاقات موجبة معها، حتى يتمكّنوا من مواكبة حركة التطوّر والتغير الإنساني في القرية الصّغيرة.

. استيعاب المتغيّرات الجديدة التي جعلت من العالم قرية صغيرة والترابط مع شبكاتها المعلوماتية لأخذ المزيد المعرفي من أجل تحقيق حياة إنسانية شاملة.

. تفطين أفراد المجتمع إلى أخذ ما هو نافع وترك ما هو غير نافع، فالقرية الصّغيرة مملوءة بالجديد النّافع والجديد غير النّافع؛ فيجب التمييز قبل الإقدام.

. عدم الإغفال عن حقيقة مفادها (أنّ الحياة بطبيعتها في حالة تطوّر) فلا داعي للغفلة.

. تفطين الأفراد إلى استثمار ما لديهم من إمكانات وطاقات والتطلّع إلى ما يفيد من قِبل الآخرين حتى يتمكِنوا من العيش برفاهية واستجمام.

. حث أفراد المجتمع على التطلّع لأخذ المفيد للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والإسراع بهم إلى أخذ المزيد وتطويره.

. دفع الأفراد لمواكبة حاجاتهم المتطوِّرة، وعدم التأخر عن ممارسة ما من شأنه أن يُعجِّل من طي المسافات بين النقطة التي هم عليها، ومحققات النقطة قمّة.

ـ التأكيد على أهمية بلوغ الجديد المفيد الذي يُعزز ثقة الأفراد بأنفسهم وبذواتهم الاجتماعية ويحقّق لهم أبعاد إنسانية في المجالات الاقتصادية والسياسية والنفسية والذّوقية والثقافية.

ـ تحريض مؤسّسات المجتمع على اختيار المعروض الأجود، ممّا وصل إليه التقدّم العلمي والتقني، والإقدام على تطويره؛ فالقوّة المبدعة في العالم لن تنتظر وستواصل التقدّم والتطوّر؛ فعلى مؤسّسات المجتمع وهيئاته وشركاته دخول ميادين السّباق العلمي وإلّا سيظل المجتمع قعيدا في مؤسّسات الرّعاية الاجتماعية. ذلك لأنَّ إشباع الحاجات ضرورة إنسانية، ولأنّ إشباع الحاجات ضرورة إنسانية، تأسست هيئات وجمعيات ومؤسسات دولية إنسانية لتقديم المساعدة لمن هم في حاجة إليها، سواء دول بحالها أم جماعات منها.

ومع أنَّ النّاس يأملون المستقبل الأجود والأفيد، ولكن القليل منهم هم الذين يحملون أعباء بلوغه، أي: إنّ البعض يعمل على صُنعه والبعض ينتظره زمنا، فالذي يعمل على صُنعه يأتي إليه، أمّا أولئك المنتظرون سيظل الزّمن أمامهم مستقبلا وهم يتمنّون، ولهذا؛ فالفرق كبير بين من يأمل ويعمل على بلوغ مأموله، ومن يتمنى فيبقى في أمانيه ساكنا.

النّاس كلّ النّاس هم بين مأمولٍ ومتمنٍ، ولهذا فهم مختلفون وسيظلون كذلك؛ فالذين يأملون يعملون ويسعون إلى معرفة وإنجاز المزيد، والذين يتمنون سيظلون يتمنون.

صُنع المستقبل المأمول رفعة يؤسّس لوطن فيه المواطنون يسودون دون سيادة مظالم، الرّجل والمرأة والصّغير والكبير هم رأس مال الوطن، ممّا يجعل ثروة الوطن ملك للجميع، والتعليم حقّ للجميع، والصّحة حقّ للجميع، والخدمات المتميّزة حقّ للجميع، والأمن حقّ للجميع، وأداء الواجبات حقّ على الجميع، وحمل المسؤوليّة عبء يحمله الجميع، وكلّ وفق قدراته واستعداداته ومهاراته وتخصّصه و تأهيله وصلاحيّاته واختصاصاته، مع تقديم أفضل رعاية للمعاقين والعجزة والمرضى وإعالة ورعاية من لا عائل لهم ولا راعٍ.

فالآمل لا يرى الحكومة والمجتمع المدني إلّا في حالة شراكة؛ فكلّ واحد ييسّر للآخر أعماله وكلّ واحد يقوم بمهمّة المراقبة على الآخر، ممّا يجعل ممارسة الحرّية بأسلوب ديمقراطي ماثلة بين يدي النّاس يمارسونها بكلّ شفافية، مع وافر الرّقابة المتبادلة بين مكوّنات المجتمع المدني والحكومة التي يتمّ اختيارها خبرة ودراية ومهنة وتخصّصا ومكانة اجتماعية وإنسانية رائدة، وكلّ ذلك لا يتمّ إلّا تحت مظلّة الدّستور وما يتفرّع منه من قوانين ونظم مشرّعة، ولهذا لا داعي أن تضع الحكومة نفسها في كلّ مكان، فإن ارتأت ذلك؛ فلن تجد لها

مكانا، وإن فرضت نفسها بغير إرادة أهل الأرض سترهق أجهزتها الأمنية وإن كثرت.

ومن ثمّ عندما يصبح أهل الأرض (الشّعب) شركاء في إدارة الدّولة دستورا سينتهي ذلك الدور الأمني (الشّك في المواطنين) ويحلّ محلّه دور جديد (لا ثقة إلّا في الشّعب) وبالتالي لن يكون دورها مطاردة المنحرفين لمعاقبتهم، بل دورها جمعهم من أجل الإصلاح، ثمّ غرس الأمل في نفوسهم من أجل مستقبلٍ أفضل، وهكذا سيكون دور رجال البوليس احترام المواطنين وتقدير ظروفهم وتفهُّم أحوالهم، أي: العمل بشكل وثيق مع المواطنين لتحسين مستويات الجماعة المحلية والسّلوك المدني واستخدام الثّقافة والاقتناع والتشاور بدلا من توجيه الاتّهامات بغير حقّ، ولذلك تسنّ القوانين التي ترشد إلى ما يجب، وتنهى وتحذِّر وتحرّم ما لا يجب، ثم تعاقب دون مظالم، ومن هنا تصبح تقويّة القانون ضرورة من أجل ممارسة الحرّية وبكلّ شفافية. فعندما يصبح المواطن صاحب سيادة في وطنه فلا إمكانية لوجود متطرّفين ومرهبين بين الشعب، ذلك لأنّ عيون الشعب كلّها رقابة.

ولأجل التغيير من حالة التّعاسة إلى حالة الرّفاهية ينبغي ألّا يكون التركيز على تقديم المساعدات؛ فالاستمرار في تقديمها يجعل

الاتكال والاستمرار في طلبها مستمرّا، ولهذا وجب غرس الآمال في عقول النّاس ودفعهم إلى العمل وتحفيزهم عليه.

الأمل ارتقاء:

الأمل ارتقاء لا يكون إلّا والمأمول نافع ومفيد، وأنّ الآمل لا يسعى إلّا لما يفيد، ومن هنا يوصف المأمول بالقمّة؛ فيصبح الارتقاء رفعة عن كلّ ما يؤدّي بأصحابه إلى السُفلية والدّونية، فيؤخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيرة مع وافر التقدير والاحترام للأفراد والجماعات والمجتمعات والحضارات والثقافات والأديان، كما أنّه يمكّن من التوافق والاندماج الذي فيه الإنسان قيمة في ذاته؛ فلا يهان ولا يقلل من شأنه ولا يحرم من ممارسة حقوقه وأداء واجباته وحمْل مسؤولياته. والارتقاء قد يكون بأسباب العلم والثقافة وحسن المعرفة وقد يكون نتاج التربية وتهذيب السلوك ومخافة الله.

والأمل ارتقاء هو الذي فيه تُتّبع أساليب الاحترام والتقدير والاعتبار والتّفهم، وهو الذي به يتمّ الإنجاز أو الإنتاج دون أن يسود استغلال للجهد الذي به أنجز العمل أو أنتج.

ولأنّ الأمل ارتقاء هو المبدأ الذي ينبغي أن يُتّبع أو المنهج الذي يجب أن يؤخذ به، لذا فهو مكمن القيم الحميدة التي تحوّل العاملين من خانة المستهلكين إلى خانة المنتجين والمبدعين ومتحدّي الصّعاب.

إذن: الأمل ارتقاء يستوجب عملا وجهدا يبذل مع خالص النيّة، أي: لا أمل ولا عمل ولا إنتاج إلّا والجهد يبذل، والجهد هنا قد يكون فكريا وقد يكون عضليّا وقد يكون فنيّا ولوجستيّا (خبرة ومهارة) وهذه من مجوِّدات العمل ارتقاء؛ فلا ينبغي الإغفال عنها وعن أهميّتها وعن أدوار أصحابها. أي يجب أن تقدّر تقديرا عاليا من حيث الحوافز والدّوافع وكلّ ما من شأنه أن يشجّع على المزيد أو يشجّع آخرين ليلتحقوا بخانة الآملين.

ومن ثمّ، فالأمل ارتقاء يستوجب دراية ومعرفة واعية، المعرفة بما يجب ويتّبع، وما لا يجب ليجنّب أو يبتعد عنه، مع معرفة وافية بقوانين وتشريعات العمل والمهنة والوظيفة وحمْل المسؤولية حتى وإن كانت عبئا جسيما.

وعليه:

ـ الأمل والعمل ارتقاء لا يكونان إلّا عن وعي.

ـ الأمل ارتقاء لا يكون إلّا والعمل جودة لا تفارقه.

ـ الأمل ارتقاء يحقّق الرّفعة الذّوقية.

ـ الأمل ارتقاء يُحدث النُقلة إلى الأجود والأنفع والأفيد.

ـ الأمل ارتقاء احترام إنساني.

ـ العمل ارتقاء حُسن تدبّر ينبغي أن يقدّر.

. الأمل ارتقاء لا يكون إلّا نتاج تفكّر فيما يجب وأدائه وفقا لما يجب.

. الأمل ارتقاء تجاوز للكسل والاتكالية والطّمع.

. الأمل ارتقاء تحدّي صعاب.

. الأمل ارتقاء تجاوز للمألوف المكلف.

. الأمل ارتقاء صنع مستوى قيمي رفيع.

. الأمل ارتقاء انفتاح موضوعي واستيعاب للأفضل والأجود.

ولذا؛ فالأمل ارتقاء فيه رفعة شأن وتقدّم تجاه ما هو أفضل وأجود وأنفع، ولكنّه لا يكون إلّا ببذل الجهد وعن دراية مع سابق تخطيط وفقا للإمكانات الممكنة، ومن ثمّ فلا إمكانية للتقدّم ما لم تتوافر معطياته من بحث علمي وأخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيّرة مع طموح وغايات من ورائها نيل المأمولات العظيمة.

فالكلمةُ الأمل مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلّا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنّه العمل ارتقاء (بناء وإصلاحا وإعمارا مع ارتقاء الأخلاق قمّة)، والعمل ارتقاء هو إنشاء الشيء من الشيء، كما أنشأ نوح عليه السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذا.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلّا بالعمل؛ فَلِمَ لا يُقدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم وبين المتقدِّمين الذين ارتقوا علما وتقنية وحُسن إدارة؟

ولأنّ الأمل ارتقاء لا يكون إلّا عملا؛ فينبغي على من يرغب ارتقاء أن يُقدِم على العمل النّافع، وينبغي أن يجوِّد منتجاته لتكون منافسة لمنتجات الغير، ذلك لأنّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إن لم تَقدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوّة المنتجة ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع النّادمين ندم.

فالأمل ارتقاء يجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة؛ فمن رغب مكانة و يأمل تبوئها فعليه بالعمل المنتج ويحرّض من تربطهم به علاقة على العمل لتكون المكانة فردية وجماعية؛ فالأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام جميعهم يعملون ويحرّضون النّاس على العمل، ويحبّون من يعمل من أجله وأجل من تربطه بهم علاقات، {وَقُلِ اعملوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}[29].

[29] التوبة 105.

فهكذا هم الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام أرسلوا للنّاس من أجل الهداية والعمل ارتقاء؛ فكانت القيم الحميدة والفضائل الخيّرة جنبا إلى جنب مع الإصلاح والبناء والإعمار ارتقاء عبر التّاريخ، وكانت الآمال لا تفارق عقول النّاس؛ فالإنسان الأوّل الذي خُلق في الجنّة رأى الارتقاء بأمّ عينه، بل عاش الارتقاء حياة نعيم، ولكن بأسباب المخالفة والمعصية ارتكب خطأ فأخرج به هبوطا من الجنّة إلى الحياة الدّنيا، والتي من بعدها أصبح واضعا نصب عينيه أمل العودة إلى تلك الجنّة التي ضاعت من بين يديه وهو يتحسّر، بما أقدم عليه شهوة وإرادة، حتى وإن كان بأسباب الإغواء، ولكن بعد أن استغفر ربّه، ظل يعمل من أجل العودة إلى ذلك العيش الرّغد الذي حُرم منه بما ارتكبه من فعل منهي عنه، ومع ذلك ساد الصّراع بين النّاس إلى يومنا هذا (بين من صدّق الرّسل ومن كذّبهم)؛ فمن صدّق الرّسل يأمل كما أَمِلَ الإنسان الأوّل الارتقاء إلى الجنّة التي عاشها حياة فردوس، ومن لم يصدّق؛ فلا يرى جنّة، وهنا تكمن العلّة.

وهكذا؛ فالإنسان لم يقف عند ما يأمله، بل تجاوزه بالعمل حتى صعد إلى القمر الذي كان يعتقد أنّه الجنّة، ثم تجاوز القمر كونه لم يكن كذلك، فغزى الفضاء اكتشافا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاء من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلّا بلوغ الجنّة، إنّها رسالة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ فمن أخذ بها ارتقاء

أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها؛ فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة المزيد.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقا، لكنّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأُهبط به من علوٍ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، بل ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل ودفعه إليه ارتقاء.

فالإنسان لو لم يكن مؤهلا للارتقاء، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاء، ولأنّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل المتطوّر تصبح ضاغطة عليه ألما شديدا؛ فعليه بالعمل وتحدّي الصّعاب، ولا يخشى شيئا سوى الحقّ الذي يمكّنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرّفعة والمكانة قمّة.

ولهذا فما بلغه الإنسان من ارتقاء علمي وثقافي وحضاري يؤسّس قاعدة عريضة للمزيد المعرفي الممكّن من الإصلاح والبناء وقبول التحدّي من أجل الأفضل والأفيد والأنفع والأرقى. ومن أراد أن يرتقي إلى المأمولات العظام فلا إمكانية له إلّا بذل الجهد والعمل الذي له من الأهداف ما له وله من الأغراض ما له ومن وراء كلّ

ذلك غايات تُبلغ ومأمولات يتمّ نيلها أو الفوز بها، ولهذا فالارتقاء عملا يحقّق:

- الرّفعة.
- تبوء المكانة.
- القدوة الحسنة.
- الاعتماد على الذّات.
- بلوغ الغايات.
- نيل المأمولات.

وعليه: فالأمل ارتقاء لا سقف له؛ فلا تجعل من مستوى الجودة الذي بلغته مظلة لتجلس تحت ظلّها وكأنّها الغاية، بل عليك أن تعرف أنّ الجودة درجات سُلم يتمّ الصّعود عليها، ولا يتمّ الصعود إليها. ذلك لأنّ الوسيلة ليست الغاية ولا المأمول، ولأنّ السّلم وسيلة فلا تقف عنده وكأنّه المهم الذي لا شيء مهم من بعده.

فعليك بالعمل، فالعمل الصّالح كما يرضي القائمين به جهدا مبذولا يرضي الله، ولكلّ جزاؤه، {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[30]. أي: لكلٍّ حسابه؛ فللعمل الرّاقي حسابه، وللعمل الواطي حسابه، ولا يظلم أحدا.

صُنع الأمل تحدّي صعاب:

الصّعاب هي تلك الأعمال التي تستوجب مزيدا من الجهد دون أن تكون مستحيلة التحقّق؛ فهي التي تواجه من يأمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها صبرا ومزيدا من الثبات وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به؛ فلا مستحيل في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصّعاب كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصّعاب إن لم تداهم ارتقاء، لابدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاء، لكن لا ارتقاء لخرق المستحيل؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصّعاب.

وعليه:

---

[30] الزلزلة 7، 8.

فالقاعدة: (تحدَّي الصِّعاب) أمّا الاستثناء: (الاستسلام إليها).

ولأنّ الممكن ارتقاء يُمكّن من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر والأمل لا يفارقه، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه أملا، ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر؛ فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

ومن تهيّأ واستعد لتحدي الصّعاب والمأمول لا يفارقه ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيّره عن الاستمرار فيها، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه المأمول كونه كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنّ يقال بإرادة، والتهيّؤ للعمل المنتج يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب، ومن ثمّ فالتهيؤ لبلوغ المأمول يؤدّي إلى نيله.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، ولكن إن لم يعقب التهيؤ استعداد؛ فلا إمكانية، حيث لا أمل، ولذلك؛ فإنّ غياب الأمل يغيّب كلّ من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتِّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما وحينها لا إمكانية لتحدي الصّعاب؛ أي: لا تحدّ بلا أمل وإرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ المأمول والفوز به.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصّعاب أملا فعليك بالآتي:

. أنْ لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهمية على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيا.

. اصّمد فالصّعب لا يصمد، وعليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر، ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها. أي: لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك ويحترمك ويعترف بك مساويا له على كفّة العدالة، {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}[31].

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض أفضل من البعض، أي: دائما أصحاب الآمال العريضة والواعون والصّابرون والمؤمنون يواجهون التحدي بتحدٍّ.

. أقبل بدفع الثمن جهدا ووقتا وإمكانات تنال أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرا.

. تحدّى الخوف الذي يقنعك كسلا أو يخالجك جبنا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد، وفي المقابل إن استسلمت فستجد نفسك متسوّلا مع المتسوّلين على الأرصفة وبين الأزقة.

---

[31] الأحزاب 25.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحديا، وأهّب نفسك لمواجهة الصّعاب تجد الصّعاب مستسلمة.

ولذلك؛ فالغاية بعد معرفة الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ الأمل رفعة، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، لكنّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات ومن بعدها نيل المأمول. ولكن وفقا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) كلّ شيء قابل لأن يتغير كلّما توافرت معطياته أو اشتراطاته.

ولذلك تتماثل دائرة الثابت والمهتز مع دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، من حيث: إن 50% من الدّائرة هو ثابت أو متوقّع، وإنّ 50% من الدّائرة هو المهتز أو غير المتوقّع. وهذا يعني: أنّ النسبي سيكون بين موجبٍ وسالبٍ، أي: أنّ الثابت والمهتز كلّ منهما معرّض لأن يكون سلبيا أو إيجابيا، أو أن يكون نتاج الأعمال السالبة أو الموجبة. ولهذا تتداخل الحركة مع السّكون، ويتداخل السّكون مع الحركة.

وعليه: لو لم يكن الثبات نسبيّا، ما تغيّرنا وما تغيّرت أحوالنا. ولو لم يكن الاهتزاز نسبيا ما أُصلحت أحوال المنحرفين، ولما تمكّن

الأخصائيون الاجتماعيون والنفسيون من إعادتهم للقاعدة (الإنسان قوّة) فيجب أن يكون الإنسان على القوّة ويقبل تحدّي الصّعاب من أجل بلوغ المأمول ونيله، ولا استغراب إذ (كلّ شيء ممكن).

ولذلك فتَوفُر الرّغبة في دائرة الممكن المتوقّع يُسهِّل من عمليات التحصيل والإنجاز، ويُسرّع من عمليات الإقدام ويحقّق نجاحا رائعا، أمّا في دائرة الممكن غير المتوقع فقد لا يحقّق ذلك؛ فعلى سبيل المثال: الشّاب الذي ذّهب إلى أحد حكماء الصّين ليتعلَّم منه سرّ النّجاح وسأله "هل تستطيع أن تذكر لي ما هو سرّ النجاح؟ فرد عليه الحكيم الصيني قائلا: "سرّ النّجاح هو الدّوافع" فسأله الشّاب ومن أين تأتي هذه الدّوافع؟ فردَّ عليه الحكيم "من رغباتك المشتعلة"، وباستغراب سأله: وكيف تكون عندنا رغبات مشتعلة؟ وهنا استإذن: الحكيم الصّيني لعدّة دقائق وعاد ومعه وعاء كبير ملئ بالماء وطلب من الشّاب أن يقترب من وعاء الماء وينظر فيه، فنظر الشّاب إلى الماء عن قرب وفجأة ضغط الحكيم بكلتا يديه على رأس الشّاب ووضعها داخل وعاء الماء ومرّت عدة ثوانٍ بدأ الشّاب يشعر بالاختناق، وبدأ يقاوم بشدّة حتى نجح في تخليص نفسه وإخراج رأسه من الماء ثم نظر إلى الحكيم وسأله بغضب: ما هذا الذي فعلته؟ فرد عليه: ما الذي تعلمته من التجربة؟ فقال الشاب: لم أتعلم شيئا.

قال الحكيم: لا يا بني لقد تعلمت الكثير؛ ففي الثواني الأولى أردت أن تُخلِّص نفسك من الماء، ولكن دوافعك لم تكن كافية لعمل ذلك، وبعد ذلك كنت دائما راغبا في تخليص نفسك فبدأت في التحرُّك والمقاومة ولكن ببطء حيث إن دوافعك لم تكن قد وصلت بعد لأعلى درجاتها، وأخيرا أصبح عندك الرّغبة المشتعلة لتخليص نفسك وعندئذ فقد نجحت.

ومن هنا وجب غرس الثقة في أنفسنا ثمّ استمداد القوّة منها إن أردنا بلوغ المأمول، وإلّا سنكون ضعفاء ولا شيء لدينا إلّا الأمنيات التي لا يمكن أن تصنع لنا مستقبلا. ولهذا لا ينبغي أن نغفل عن:

. تهيئة الاستعدادات النفسية والبدنية والمالية لما هو متوقّع ومأمول ولما هو غير متوقّع حتى لا تحدث المفاجئة.

. غرس الثقة في النفس؛ حتى يتم التمكّن من تحدي الصّعاب.

. تحديد الأدوار الواجب لعبها؛ لتحقيق الأهداف المحددة من قبل المجتمع أو مؤسساته أو هيئاته وجمعياته.

. غرس الثّقة في نفس الفرد وفي القيم الاجتماعية الموجبة.

. غرس الثّقة في أنفس الجماعة من خلال المشاركة الفعّالة في إعداد البرامج والمشاركة في تنفيذها والقيام بها.

. تنمية قدرات أفراد الشعب كلّه وغرس الثقة بينهم؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق أهدافهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والنفسية والذوقية وفقا للخطط والاستراتيجيات المرسومة.

. تهيئة استعداد الأفراد والجماعات لما يجب والتطلّع بهم إلى ما يُحدث النقلة.

. غرس الثقة في أفراد الشعب من خلال مؤسّسات الدّولة، دون الإغفال عن مشاورتهم فيما يتعلّق بهم من أمر، وأخذ وجهات نظرهم تجاه المستقبل الذي يأملونه أو يتطلعون إليه.

. تنمية قدرات الأفراد والجماعات مع مراعات أصحاب الحاجات الخصّة وتأهيلهم وتدريبهم ورعايتهم مع دراسة حالاتهم وتوظيفهم كونهم مفردة من مفردات المجتمع المستهدف صُنع مستقبله.

. تقوية الإمكانات المادّية وتدعيمها بالمعلومة والمعرفة الواسعة المساندة للتطوّر والتقدّم واستثمارها فيما يفيد.

. تحفيز أفراد الشعب على المشاركة الفعّالة، ودفع مؤسّسات الدّولة إلى الإقدام على ما يفيد وينفع خدمة وإنتاجا.

. استثمار الإمكانات البشرية والمادّية في تحسين أحوال الأفراد والجماعات وتحسين أحوال البيئة.

. إشعار أفراد المجتمع بأهمية المشاركة الاجتماعية في اتخاذ القرارات وتنفيذها وتقويمها من الانحراف.

. حث الأفراد على الاستفادة من الإمكانات المتاحة والبحث عن إمكانات أخرى أو إمكانات بديلة في حالة نقص الإمكانات أو شُحها، واستثمار ما يتوفّر منها إلى أقصى درجة ممكنة، تحقيقا لعمليات التغيير الموجب.

. تأكيد أهمية المشاركة ودورها في بناء الثقة بتحريض الأفراد على ممارستها من أجل تأكيد منطق (النّحن) المستوعب للأنا والآخر حتى تتضاعف القوّة ويزداد العطاء وتعم المكاسب ويتم نيل المأمولات.

. دفع الأفراد والجماعات وهيئات ومؤسّسات الدّولة إلى استيعاب الجديد والعمل على تطويره.

. الإصرار والتصميم على إزالة الشّكوك والمخاوف وكلّ ما من شأنه أن يجعل المواطن في حالة خوف أو قلق بأمل يحفّزه ويدفعه إلى المشاركة في صناعة المستقبل.

. تمكّين الأفراد من إدارة شؤون حياتهم بإرادتهم الحرّة دون أيّ إكراه أو إجبار وغرس الثقة في أنفسهم وفي مقدرتهم على إدارة ما يتعلّق بهم من أمر مع إرشادهم لِما يفيد عمليات الاستثمار

للإمكانات المتاحة، وتعريفهم بأساليب البحث عن البدائل كلّما دعت الضّرورة لذلك.

الأمل من أجل المأمول:

الأمل ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه بلوغ المأمول ثم نيله، والآمال هي المرجوة بلوغا ثم نيلا، سواء أكانت بحثا علميا أم عملا أو أيّ مقصد من المقاصد المعلومة، ولهذا تحدد لها الأهداف لتكون مرشدة لمراميها.

فالآمال تحدّد لها الأهداف وفق الإمكانات المتاحة من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علما أو معرفة أو بناء وإعمارا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه، ومن ثمّ فالصّراع بين بني آدم اختلافا وخلافا لن ينتهي بين البناة أملا، والهادمين له انحدارا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافا مشتركة (قابلة للإنجاز)، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاء، وآمال رفيعة يتم نيلها.

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين، ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة،

أي: ينبغي أن تحدّد الأهداف وفقا لأملٍ مشترك يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا وارتقاء.

ومن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة حيث لا أمل، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاء، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة؛ فالأمل الرّفيع يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراضا، والغاية من ورائها القمّة مأمولة.

وعليه:

إنّ تحديد الآمال مثل تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعية، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهمية الموضوع أو القضية التي يأملونها ويضحّون من أجلها. ولهذا:

وضوح الأمل يؤدّي إلى وضوح الرّؤية.

ـ غموض الأمل لا يؤدّي إلى بلوغ المرضي.

ـ تحديد الأمل يمكّن من التدبّر.

ـ ولّد في نفسك وعقلك أملا من ورائه مأمولات.

ـ تبيّن أملك قبل الإقدام على العمل.

ـ ثق أنّ الآمال تُنال؛ فلا تتأخّر عن العمل.

وإذا أراد بنو آدم عدم الجلوس على أرصفة البطالة والمتسوّلين؛ فعليهم بصناعة الأمل وتوليد الآمال منه، ثمّ وجب عليهم حُسن التدبّر مع أخذ الحيطة والحذر؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من صنع الأمل والمشاركة في العمل المنتج، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة؛ فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، وتحقيق الأغراض الرّفيعة، وبلوغ الغايات العظيمة، ونيل المأمولات قمّة.

ولهذا فالآمال ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلما ومعرفة وإنتاجا وحرفة، ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيات على أي مستوى من المستويات الفردية والجماعية والمجتمعية وأيّ مستوى من المستويات السياسية والاقتصادية والمعرفية ما لم تحدد لذلك آمال عريضة تحتوي أهداف قابلة للإنجاز ومأمولات قابلة لأن تصبح شواهد.

وعندما تُصنع الآمال، وتحدّد الأهداف، تصبح رؤية الآملين واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من صنع آماله وتحديد أهدافه أو رؤيته أو سياسته؛ فلن يستطيع أن ينجز شيئا يمكن أن يكون على الأهمية المأمولة.

وعليه:

. الآمال العظيمة ليست أمنيات الكُسالى، فهي تحمل في أحشائها حيويّة تدفع تجاه نيل المأمولات الراقية.

. الآمال العريضة لا تصنع إلّا من قِبل الجادّين.

. الآمال لا يقودها إلّا آمل وإن استعان بمن استعان.

. الآمال تهدي الآملين إلى مأمولاتهم وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

. الآمال لا تتولّد في العقول إلّا من قِبل القادرين على نيلها أو الفوز بها.

. يعد تحديد الآمال خرقا لما كان يظن أنّه صعب المنال.

. يعد إنجاز أوّل أمل أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

. تحديد الآمال لم يكن غاية في ذاته، بل الغاية طي الهوة بين الآمل والمأمول؛ لأنّ بلوغ الغاية وطي الهوة يفتح آفاقا جديدة لتوليد آمال جدية لم تتولّد إلّا من بعد مأمول تمّ نيله.

ومع أنَّ في البداية تكون الصّعوبة، ولكن في النّهاية لا تعد استحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عملية التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ والآمال تُنال.

ولأجل ذلك: ينبغي أن نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، والأغراض وتحقيقها، والغايات وبلوغها، والمأمولات ونيها؛ فالأهداف تحدّد لتنجز أوّلا بأوّل، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها، ولهذا؛ فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي تحديد أهداف أهم من التي أنجزت، ثمّ من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهمية إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ومن ورائها مأمولات أعظم، ولهذا، لا ينبغي أن تكون أهداف الآمل غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها ما يحقق الرفعة (نيل المأمول ارتقاء).

ولهذا فإنَّ قاعدة صنع الآمال وتوليدها مؤسّسة على وجوب نيل المأمولات، وإلّا لا داعي لصنعها وتوليدها؛ فكلّ ما نال بنو آدم مأمولا ينبغي أن يكون من ورائه مأمول أهم، ثمّ من ورائه مأمول أكثر أهمية، ووراء كلّ مأمول غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية مأمولة.

في دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يصنع له أملا، ولكنّه لا يعمل على نيله وكأنّ صنع الأمل هو المأمول في ذاته؛ وكذلك هناك من يصنع له أملا ويعمل على إنجازه دون أن تكون له آمال عريضة من بعده، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها، ولهذا؛ فالآمال ارتقاء: ينبغي أن يكون من ورائها أغراض تكمن من ورائها غايات عظيمة.

إذن: ينبغي على بني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ أمل غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة،

وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا؛ فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وألم، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وعليه:

ـ إنّ تحديد الآمال ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه نيل المأمول.

ـ من يحدّد آماله غاية ليس له من نتيجة إلّا الفشل.

ـ توليد الآمال يولّد آمالا جديدة في عقول الجادّين.

ـ لا يولّد الأمل من الأمل إلّا ومن ورائه غرض، ومن وراء الغرض غاية من ورائها مأمول. ولهذا فكلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية، وكلّ غاية تُبلغ من ورائها مأمول يفتح آفاقا أمام مأمول أعظم.

ـ تصنع الآمال وفقا لمتغيرات بيّنة، ولكن الآمل لا يقتصر عليها؛ فهناك من الآمال ما يصنع في دائرة غير المتوقّع بما يمكّن من إنجاز المفاجئ.

ولذا؛ فكلّما تمّ نيل أمل، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف آمالٍ من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية؛ فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاء. أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم

ارتقاء وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقا لآمال يتم نيلها، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب؛ فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين أملا وارتقاء.

ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة، ونيل المأمول رفعة؛ فلا بدّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلا، واحتراما، وتقديرا، واعتبارا، واستيعابا، وتفهّما، وتدبّرا، مع مراعاة البدء مع النّاس من حيث هم، من أجل ما يجب أن يكونوا عليه رفعة.

فالارتقاء معمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة)، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، وأمل من ورائه آمال، ولكن في المقابل هناك من يهدّم المعمار رأسا على عقب، وهناك من يهدّمه لبنة بعد لبنة؛ فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا والهادمين له انحدارا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم آمال قابلة لأن تنال.

الأمل يصنع الخوارق:

الأمل العظيم يحفّز أصحابه على تحدّي الصّعاب وتجاوز الحدود وبلوغ الخوارق، ومن هنا تلد المعرفة معارف، ذلك لأنَّ الخوارق ولادة ما لم يكن بالحسبان، وبها يتمّ تجاوز المألوف والمحتمل في دائرة الممكن غير المتوقّع من خلال تحدي العقل البشري للكوابح والمعيقات، وهي نتاج المقدرة الذّهنية ذات الرّؤية الثاقبة للمشاهد والملاحظ بغاية التعرّف عليه وعلى القوانين التي هو عليها، وعلى الكيفية التي بها خُلق حتى التمكّن من معرفة المستحيل مستحيلا.

فالخوارق تُصنع وتُبدع كونها على غير سابقة معروفة، فمن بلغها اختراقا (تجاوز المألوف) وأظهر ما كان مجهولا أو مختفيا لحيّز المشاهدة والملاحظة فيضيف جديدا لميادين المعرفة الواسعة. فالخوارق لو لم تكن ممكنة ما كانت، ولأنّها في دائرة الممكن؛ فهي ستتولّد خارقة ومن بعدها خوارق. وما الاستغراب الذي يصاحبها أو المفاجئات التي تلاحق وجودها إلّا بسبب كونها لم تكن متوقّعة.

والخوارق تُصنع لأنّها تأتي عن غير قاعدة مألوفة، وعن غير معتاد ولا متوقّع، ممّا يجعل علامات الاستغراب والاستفهام والتعجّب توضع عليها وعلى من اكتشفها أو جاء بها.

أمّا الصّنع؛ فهو إظهار ما لم يكن ظاهرا، أو إيجاد ما لم يكن بين اليدين موجودا، أو إظهار الشيء الظاهر على غير ظهوره

إبداعا، أو استخراج الشيء من الشيء بطريقة أو أسلوب غير معتادٍ ولا مألوفٍ.

والصّنع هو أن يتمّ الإتيان بما لم يسبق لأحدٍ قد أتي به، وهو نتاج التفكير المفتوح حيث لا سقف يحدّه ولا موانع تكبحه؛ أمّا الخارقة؛ فهي بلوغ ما لم يكن متوقّعا، والخوارق أعمال غير معجزة، أي: إنّها الممكِنة، ولكنّها غير عامّة؛ فهي تحتاج إلى مقدرة عقلية تتجاوز ما يمكن تدبّره إلى ما يمكن بلوغه كونه لم يكن مستحيلا ولا معجزا. والخارقة تقود أصحابها فكرا إلى الإبداع الممكّن من معرفة ما كان مستغربا مع أنّ آمله غير ذلك، كونه قد صاغ له تساؤلات وإن كانت بالنسبة إليه على غير عادة.

ومن ثمّ؛ فالأمل تحدٍّ يقود إلى العمل المبدع، والعمل المبدع بداية قد يصفه البعض بالمستحيل بالرّغم من تحقّقه مشاهدة وملاحظة؛ فالهبوط على القمر، البعض كذّبه بداية، ولكنّه لم يصمد في تكذيبه، لكونه أصبح حقيقة لا تُخفى.

ومن ثمّ؛ فالصّعود إلى القمر يعد عملا من أعمال الخوارق التي بإمكان العقل البشري أن يبلغ ما هو أعظم منه، فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المحقّق للخوارق وفقا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولا استغراب ولا مفاجأة، بل

الاستغراب ألا يرتقي عقل الإنسان إلى اقتناص الفكرة الممكّنة من الارتقاء وبلوغ الخوارق أملا.

وهنا، أقول:

الجنّة بين أيديكم؛ فاعملوا يا بني آدم من أجلها، فاغزوا الفضاء بكلّ الخوارق التي بإمكانكم العمل عليها والعمل بها؛ فبلوغ الجنّة غير مستحيل، بل المستحيل أن لا تعملوا ارتقاء من أجل بلوغها مأمولة.

وهنا لا أقول مواعظ، بل لِمَ لا نتعظ، ونتدبّر أمرنا؛ حتى نتمكّن من بلوغ الخوارق ارتقاء؟ ومن يرى غير ذلك؛ فكأنّه لم يُخلق بصيرا، وليس له من الحواس ما يمكّنه من خَلق الخوارق وتجاوزها بخوارق أكثر ارتقاء؛ فمن يغفل عن ذلك؛ فكأنّه قد غفل عمّا بنته الحواس وما ستبنيه من حضارات؛ فالتذكّر يربط العقل بما أنجزته أيدي النّاس، وبما غفلت عنه، ليتدبّر حاضره، ويفكّر في مستقبل يستوجب رسم الخطط الممكّنة من الخوارق في دائرة الممكن.

وعليه: فالإنسان مؤهّل للارتقاء أملا وحسّا؛ فهو يتذكّر؛ ليتّعظ ويُصلح، ويتدبّر؛ ليبني وينتج، ويفكّر؛ لإيجاد خارقة بها يصنع مستقبلا راقيا، يَرتق الأرض بالسّماء.

ومن أراد أن يكون له شأن؛ فليعمل على تحقيق المكانة قيما وفضائل، وإذا أراد أن يرتقي قيما وفضائل؛ فليأخذ بمفاتيح العلم،

ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون عليه مأمولا.

فالارتقاء حركة دؤوبة، يتحقّق عبر التّاريخ بالجهد المبدع والعمل المتّصل، الذي منه تؤخذ العبر، وتستمدّ المواعظ، وتنقل التجارب النّاجحة شواهد؛ وهو لا يحدث فجأة؛ فهو مثل الوليد، يولد وهو في حاجة للرّعاية والعناية، ثمّ يكتسب قوّة تدفعه إلى تحقيق ما هو مأمول أعظم، وهو كالبناء بدايته وضع حجرة على الأرض، ثمّ يصبح صرحا شامخا وكأنّه يريد أن يفتق الأرض بالسّماء؛ فهكذا هو الارتقاء تطلّعا يجسّد الأمل والطّموح، ويمكّن من بناء حضارات أهلها يسودون ثمّ يفنون، وتبقى الحضارة تاريخا متكئا على الارتقاء علما وفكرا وقيما وفنّا وثقافة وأدبا وإعمارا وبناء.

ولأنّ التاريخ البشري مليء بالتّجارب النّاجعة، والفاشلة، فهو قد مرّ بنشوء حضارات سادت ثمّ بادت وحلّت محلّها حضارات أخرى؛ ففي تلك الأحقاب سادت حضارة عاد وثمود، ومن بعدها حضارات الغرب، وحضارة الفرس، وحضارة الإسلام والعرب، واليوم حضارات الشّعوب تتداخل لتسود القرية الصّغيرة؛ فهي بالرّغم من تنوّعها، وكأنّها حضارة أمّة واحدة، إنّها تقدّر الخصوصيّة، وتُمكّن من الاندماج علما ومعرفة، وتقنية وإعمارا، وتؤكّد قيمة الإنسان في ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسؤولياته وبكلّ شفافية.

ومع ذلك؛ فالإنسان دائما في حاجة للارتقاء؛ فهو يسعى من أجل حياة أكثر أمنا، وأكثر نعيما، وأكثر عدلا، وأكثر رفاهية ورقيّا؛ فقيمة الإنسان تستوجب تقديرا عاليا، ورعاية صحية متقدّمة، وتعليما يخلّص من أيّ تأزمات تحدث، ونُظم تُمكّن من التمدّد بكلّ حرّية دون أن يحدث أيّ تماسّ مع تمدّد المختلفين داخل حدودهم بكلّ حرّية.

ولذلك؛ فالاختلاف لن ينقطع بين النّاس بما أنّ هناك من يرى القيم والفضائل أساس العمل والتقدّم والارتقاء، ومن يراها لا تزيد عن كونها قيودا ينبغي أن تزال متى ما تعارضت مع المصلحة الخاصّة، ومع وجود الاختلاف، فلا وجود لما يعيق ولادة الخوارق، بل الاختلاف هو المحفّز تحدٍ ومنافسة على ولادة المزيد من الخوارق تحدّ لكلّ الصّعاب.

ومن ثمّ؛ فالأمل في بعض الأحيان يتمركز على (الأنا) أنا ومن بعدي الطّوفان، وهنا تكمن العلّة، وحتى لا تكون الأنانية القاتلة؛ فعلينا بتضافر الجهود والنّهوض سويّة حتى نقضي على عوامل الشّد والتخلّف ونرتقي تقدّما ونهضة من بعدها نهوض مع أملٍ ناهض.

وحتى لا تكون العلّة نهاية المطاف؛ فينبغي بلوغ الحلّ الذي يحتوي في مضمونه قبول الآخر (هو كما هو)، والعمل معه (من

حيث هو)، من أجل الارتقاء سويّا إلى مستقبل مأمول؛ فالفرد وإن خُلق فردا؛ فهو لم يُخلق وحيدا، ولهذا، لا ينبغي أن يفكّر وحيدا، ولا ينبغي أن يعيش وحيدا، بل ينبغي أن يفكّر حتى يعرف كيف يفكّر جماعيا، وأن يعمل مع الآخرين ارتقاء بغاية ما يجب.

ولكي يتمكّن الإنسان من اتخاذ قراره عن وعي؛ فعليه بمعرفة العلاقة التي تربط قوّة قراره بقوّة اتخاذه؛ فقوّة القرار تكمن فيما يحقّقه من فوائد، وما يترتّب عليه من ارتقاء مأمول، وما يحدثه من مفاجئات موجبة، ومن ثم؛ فاتخاذ القرار ارتقاء يُمكِّن من إحداث النقلة وبلوغ المأمول.

ولأن صُنع الخوارق لم يكن مستحيلا فَلِمَ لا تُصنع باستمرار تحدٍّ للعقل بملكاته العقلية؟ فالعقل دائما مَكمن الخوارق؛ فمن بلغ عقله عقلا عن غير توقّع بلغ المعجز إعجازا، ومن بقي في دائرة المتوقّع؛ فلا إمكانية لبلوغ الخوارق التي في النّهاية لا تكون إلّا في دائرة الممكن غير المتوقّع.

ولكن لكي تصنع الخوارق؛ فهي في حاجة لمناخ مناسب حيث لا قيود على التفكير الإنساني ولا موانع ولا تخويف من أحدٍ، بل المكتبات مليئة بالمصادر والمراجع والدّوريات العلمية، وأنّ المقرّرات المدرسية والجامعية معدّة على قاعدة كلّ شيء ممكن ولا استغراب، ثمّ أنّها تحرّض المتعلّمين على التحدّي وقهر الصّعاب.

وإلى جانب ذلك فالتحفيز يسرّع من إدارة العجلة تجاه التقدّم وإحداث النُقلة وإيجاد ما لم يكن متوقعا.

وعليه:

. بلوغ الخوارق مُمكن فلا تستغرب.

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى تبلغ خارقة.

. لا تستسلم للمتوقّع وتغفل عن غير المتوقّع الذي يخرجك من زمن المفاجئات.

. لا تُوقِف تفكيرك عند حدود المألوف؛ فالتوقّف عند حدوده لا يمكّنك من بلوغ الخوارق إضافة معرفيّة.

. لا خارقة إلّا بمقدرة عقلية، فانتبه لنفسك ولما حولك ولما يجب حتى ولو تجاوزت المألوف بما هو موجب.

. الخوارق يتمّ اكتشافها بين الفجأة والانتباه، فانتبه واعلم أنَّ السّرحان مضيعة للوقت؛ فلا تعوّد نفسك وعقلك الخوض فيه.

. اكتشاف الخوارق أو بلوغها يُمكّن من معرفة قوانينها تاليا، أي: إنّ الخوارق تكتشف أوّلا ثمّ بعد الاكتشاف يتمّ التعرّف على القوانين التي هي عليها.

. معرفة الخوارق تمكّن العقل من التحدّي والبحث عن المزيد.

. معرفة الخوارق تقهر المألوف، وقد تقضي عليه، ولا مخاوف.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المعجز تسليما.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المستحيل والوقوف دونه مستحيلا.

. صُنع الخوارق لا يكون إلّا تجاوزا للقولبة والتمنهج وأساليب الرّتابة المملّة.

. صُنع الخوارق يظهر أو يوجد ما لم يكن ظاهرا أو موجودا معرفيا.

. صُنع الخوارق صور تُنتج على غير هيئة مسبقة.

. يعد استخراج الشيء من الشيء على غير مألوف خارقة عقلية.

ولهذا ينبغي أن يعوّد الإنسان نفسه على الأخذ بالمنهج العلمي ويفضّل أن يتجاوزه معرفة بما هو أكثر تيسيرا حتى وإن كان نتاج وقته، وعليه بقبول الصّعاب والعمل على تحدّيها حتى تُهزم.

الأمل محفّز على الارتقاء:

الارتقاء قيمة مرغوبة، لا يُبلغ إلّا بجهد يبذل، وهو القيمة التي لا تجعل للإحباط والانطواء والانكفاء مكانا ليستقر فيه، ترفضه الإرادة والرّغبة والتحدّي والإصرار. ولذلك فالحياة بدون أمل محفّز

على الارتقاء لا تكون إلّا مللا؛ فاصنع لنفسك أملا يخرجك من التأزّمات، واعلم أنّ الذين صنعوا لأنفسهم آمال ارتقوا حتى بلغوا القمم علما ومعرفة وتقدّما وحضارة.

فالارتقاء قيمة تفضيلية خصّ الله بها الإنسان خَلقا وخُلقا؛ فهو في خَلقه كان في أحسن تقويم، أمّا في خُلقه؛ فينبغي أن يكون على الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي أمر بها الخالق، وفضّلها النّاس، {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[32].

نلاحظ في هذه الآية الفرق الكبير بين تلك الزّواحف مكبّة الأوجه، ومن يمشي سويّا (مقوّما)؛ ذلك هو أمر الخالق؛ فلا يتبدّل، أمّا المتبدّل فهي الأخلاق التي هي بيد المخلوق فإن شاء ارتقاء كان بها راقيا، وإن لم يشاء تصبح أخلاقه مكبّة.

ولذا؛ فلا إمكانية لتلك المخلوقات أن تتطوّر وترتقي كما يظنّ البعض لتصبح غير زاحفة، أو غير مكبّة الأوجه. وفي المقابل يمكن للإنسان الذي يمشي سويّا أن ينحدر خُلقا؛ فيضل ويظلم ويعتدي بغير حقّ، ومع ذلك فلن ينحدر خَلقا.

وهذا ما حصل مع الإنسان الأوّل (آدم) الذي خُلق في أحسن تقويم، ولم يُخلق على الكمال، إنّه الإنسان بين التسيير

---

[32] الملك 22.

والتخيير، وبين هذا وذاك يستغفر؛ فيتاب عليه، ومن ثمّ؛ فمخالفة أبينا آدم هي مخالفة تخييريّة ذات علاقة بالإرادة والرّغبة والشّهوة، وهذه مكامن العلل والضّعف النّفسي التي تجرّ لما لا ينبغي (للمخالفة) كما تجرّ لما ينبغي (الطّاعة والاتباع)، ولذلك؛ فحسن التقويم لا يتغيّر، أمّا حُسن الأخلاق في دائرة الممكن؛ فيتغيّر بين سُفلية وارتقاء.

ولأنَّ الأخلاق لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع رُقيّا؛ فلا استغراب أن يحدث الخطأ، بل الاستغراب ألا يصحّح ولا يقوّم، كما صحّحه أبونا آدم وقوّمه ساعة حدوثه، وساعة كشف علله، {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[33]. ذلك لأنّ الكلمات الصّائبة تصحّح الأخطاء الواقعة، وهذه تتعلّق بارتقاء الأخلاق، ولا تتعلق بالخَلق الذي لا يتبدّل.

ففي دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع لا بدّ وأن يقع الإنسان في الخطأ، أمّا الاستثناء في دائرة الممكن ألا يُصححه، ولهذا أخذ أبونا آدم بالقاعدة: وهي متى ما وقع الخطأ وجب التصحيح الذي يوجب تصحيح المعلومات الخاطئة بالمعلومات الصّائبة.

وعليه:

---

[33] البقرة 37.

فالارتقاء قيمة خُلِقَ الإنسان عليها من طين الجنّة عندما كانت الأرض مرتقة في السّماوات، {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[34]. ولأنّ الإنسان الأوّل خُلق من تراب الأرض المرتقة في السّماء جنّة، كان خلقه في أحسن تقويم، {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[35].

ولذا؛ فأساس خلق الإنسان التقويم الحسن دلالة ومعنى وصورة، أمّا الاستثناء ألا يحافظ الإنسان على حُسن التقويم الذي خُلق عليه خلقا. وهذا ما حدث مع أبينا آدم عندما لم يأخذ بما أُمِرَ به وهو: ألا يأكلّ من تلك الشّجرة، {وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[36].

ومن هنا، جاء انحدار أبينا آدم عوضا عن الارتقاء الذي خُلق عليه خلقا. (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)، حيث الهبوط على الأرض التي فتقت من السّماوات؛ فأصبحت أرضا دنيا إذا ما قورنت بما بقي في علوٍ (في السّماء). ولكن آدم عليه السّلام خُلق على حُسن

---

[34] الأنبياء 30.

[35] التين 4.

[36] البقرة 35، 36.

التقويم فتدارك أمره؛ فاستغفر ربّه؛ فتاب عليه، {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[37]. ولهذا؛ فقد استثنى آدم من الوجود السُفلي كونه تاب الله عليه بسبب استغفاره ورُقي إيمانه، (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا).

فالإنسان الأوّل (آدم) كونه قد خُلق في أحسن تقويم؛ فتقويمه الخَلقي لم يتغيّر، بل الذي تغيّر هو عدم أخذه بما يبقي الأخلاق ارتقاء، وذلك حينما أخذ بما يغوي، وهو: المنهي عنه، (ألا يأكل من تلك الشّجرة)؛ فحاد آدم عن الخُلق الذي هو بيده تخييرا، ولكن لم يحدّ عن خَلقه المقوّم تسييرا، حيث لا إمكانية له في ذلك.

فالارتقاء خَلقا سيظل باقيا ومميّزا لبني آدم، ولن يتطوّر أكثر من حُسن التقويم، وكذلك لن ينحدر عنه؛ فهو الخَلق الذي لا يتبدّل كونه بيد الخالق، أمّا المتبدّل؛ فهو: الذي بيد المخلوق، وهي: الأخلاق التي إن أصابها ما أصابها انحدرت من رقيّها.

وعليه:

ـ كلّما تكتشف أنّك على شيء من الخطأ؛ فاعرف أنّ معلومات خاطئة قد علقت بك؛ فتخلّص منها؛ فصحّح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة ولا تتردّد.

---

[37] البقرة 37.

ـ الخلق وحده يمكّنك من الصّمود الموجب، وانعدامه يجعلك في سُفلية؛ فعليك بالخُلق ولا تفارق.

ـ الأخلاق تجعلك على الارتقاء وتمكّنك من بلوغ ما هو أكثر رُقيّا.

ـ ثق في نفسك إن أردت التحدّي، ولا تلتفت لمن يريد إغواؤك عثرة من بعد عثرة.

ـ اعمل والأمل لا يفارقك؛ فالإنسان بلا أمل لا فرق بينه وبين من خُلق في دونية.

ـ ضع الدّروس نصب عينيك؛ ولا تنسى ذلك الدّرس الذي تركه لنا أبونا آدم عليه السّلام، فهو بعد أن عصى ربّه بأسباب الأكل من المنهي عنه، عرف أنّ ما يُنهى عنه لا يكون إلّا مخالفا للفطرة الخلقيّة (في غير مرضاة الخالق)، أي: إنّ المنهي عنه، لا يكون إلّا لضررٍ، سواء أكان نفسيا، أم صحيّا، أم خُلقيّا؛ فآدم بعد أن أكل من تلك الشّجرة المنهي عن الأكل من ثمارها ندم وتألم، وظل على ما ألمّ به من ندمٍ وألمٍ حتّى غفر الله له ذنبه؛ ومع ذلك صدر عليه حكم الهبوط من الجنّة ارتقاء، إلى الحياة الدُّنيا على الأرض الدُّنيا.

ولهذا؛ فالآمال هي ما يحتويها الزّمن كلّه؛ فلا تقصر آمالك على المستقبل وحده؛ فهناك من الآمال ما قد أنجز، ممّا يستوجب الأخذ به عبرة وموعظة، أو العودة إليه كنز لا يفنى.

وعندما تتاح لك فرص الاختيار؛ فلا تتسرّع، وكذلك لا ينبغي أن تتأخر؛ فلكلّ حسابه؛ فلا تغفل.

وعليك أن تعرف أنّ زمن تحديد الأهداف ليس زمن حصاد نتائجها، فزمنها زمن الزراعة والبدر؛ ولذلك؛ فالنّاس يحدّدون أهدافهم، ثمّ، يعملون على إنجازها وبلوغ الغاية التي من ورائها، مع العلم أنّ الزّمن بين تحديدها وبلوغها يحتاج إلى أعوام، وهذا يعني: أنّ زمن تحديد الأهداف لم يكن هو زمن إنجازها ولا تحقيق الغاية التي من ورائها، مع أنَّ الزّمن الذي حُدّدت فيه قد أصبح ماضٍ، وهو في ذات الوقت بالنّسبة لإنجازها أو بلوغها لا يعد إلّا مستقبلا.

الأمل ارتقاء آدمي:

بنو آدم وإن وقع منهم من وقع في ارتكاب الأفعال التي لا تليق بخلقهم في أحسن تقويم، لكنّ جلّهم يأملون الأفضل، وقليل منهم يعمل من أجل نيله.

ولأنَّ الخَلق بيد الخالق؛ فلا تخيير، ولأنّه لا تخيير؛ فسيظل من خُلق مكبّ الوجه مكبّا، وسيظل الزّاحف زاحفا، وسيظل من يمشي

سويّا على قوامه في أحسن تقويم، ومن ثمّ؛ فسيظل القرد قردا، والإنسان إنسانا، والسّمك سمكا.

ونظرا لأهمية الإنسان في الوجود الخلقي جاء خَلقه من عجلٍ، (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) والعجل هو الشيء الذي نجهله صفة، وندركه شيئا؛ فقوله: (من عجلٍ) أي: من شيء مميّز، ولم يقل: (على عجلٍ) أي: لم يقل (على تسرّعٍ)؛ فالخالق تعالى يخلق بالأمر لا بالجهد، ولهذا؛ فخلقه لا تسرّع فيه، ولأنّه لا تسرّع، قال: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ). مع العلم أنّ العَجل في كلام أهل حمير يعني: الطّين. وهذا المعنى ينسجم مع قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ}[38]؛ والسّلالة، هي: النّوعيّة الرّاقية من طين الجنّة حيثما كانت الأرض مرتقة مع السّماوات في علاها. وذلك، لأنّ خَلق الإنسان لم يكن على الأرض الدُّنيا، بل كان خَلقه على الأرض قبل أن تُفتق، ويُهبط بها دُنيا، ولهذا؛ فالسّلالة تدلّ على أصول الخلق الآدمي من تراب الأرض المرتقة في السّماوات حيث رُقي طين الجنّة.

ومن هنا؛ فسلالة خَلق الإنسان خاصّة به، والسّلالة تعني الجَودة الرّاقية ذات الخاصيّة المتميّزة (جنس ونوع)؛ فلا عجل، ولا عبثية في خَلق الإنسان الذي خُلق من طين الجنّة، والذي جودته

---

[38] المؤمنون 12.

تصلصل ارتقاء، {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}[39].

ولأنّ الإنسان الأوّل (آدم) قد خُلق في أحسن تقويم؛ فهو من حمإ مسنون، (من مادّة ذات جودة عالية) حيث لا شائبة، ومن ثمّ؛ فلا طين يماثلها؛ فالطّين الذي خُلق منه الإنسان من صلصال (أرقى أنواع الطّين).

فخُلق الإنسان مُفضّلا على جميع المخلوقات بما فيها الملائكة والجنّ. {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[40].

ولأنّ الإنسان هو المفضّل خَلقا؛ فعلّمه الله نبأ ما لم يعلمه الملائكة، {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}[41].

---

[39] الحجر 26.

[40] البقرة 30.

[41] البقرة 31. 33.

ولأنّ خلق آدم كان أكثر ارتقاء من غيره؛ سجد الملائكة إليه طاعة لأمر الله، (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا)، أي: بأسباب الخَلق ارتقاء والنّبأ العظيم الذي تلقاه آدم من ربّه، سجد الملائكة له طاعة للنبأ الذي أنبأه الله به ارتقاء.

ولأنَّ الجنس الآدمي هو المفضّل ارتقاء، كان آدم نبيّا للملائكة والجنّ والإنس جميعا، (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ). فلمّا أنبائهم سجد الملائكة إِلَّا إِبْلِيسَ (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ). وإلّا هل هناك من يشكّ أنّ الذي سجد الملائكة له، لم يكن على الارتقاء مفضّلا؟

أمّا الخَلق الثاني: فهو الخلق المؤسّس على النّطفة (الماء الدّافق) {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ}[42]. وهذا الخلق هو الخَلق التزاوجي، الذي يختلف عن ذلك الخلق المصلصل، ممّا جعل السّلالة الثانية تختلف عن السّلالة الأولى؛ فالسّلالة الأولى: من طينٍ لازب، والسّلالة الثانية: من ماءٍ مَهين، {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ}[43].

---

[42] النحل 4.

[43] السجدة 8.

ولأنّ الإنسان خُلق على الارتقاء؛ فينبغي أن يكون عليه قمّة وكأنّه كبد الكون، {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}[44]، أي: خُلق الإنسان على المحبّة؛ فينبغي أن يكون عليها كبدا تتألم مع من يتألم، وتأمل الخير ارتقاء مع من يأمله، وتعمل في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع على تحقيقه، وكذلك ينبغي أن تسعد مع من يسعد، وتسعى استقامة واعتدالا ولا مظالم؛ فتجمع ما تفرّق من أجل إعادة قيمة الإنسان وحفظ كرامته، وما يؤدّي به إلى ما يحقّق آماله رفعة وارتقاء.

فآدم عليه السّلام خلق في أحسن تقويم من غير أب ولا أم (من تراب الجنّة) حيث لا إنس من قبله، ولأنّه كذلك، جعله الله على الارتقاء نبيا؛ فسجد له الملائكة طائعين، إلّا إبليس، ومع أنَّ آدم قد خُلق في الجنّة والأرض مرتقة في السّماوات، ولكن بمخالفة أمر الخالق أهبط به والأرض ومن كان سببا في إغوائه ومعصيته، وكذلك من قَبِلَ الإغواء معه معصية، وهنا تكمن العلّة التي دعت آدم ندما واستغفارا وتوبة، ولكنّ قرار الهبوط نافذ، {فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[45].

---

[44] البلد 4.

[45] البقرة 36.

ومع أنَّ آدم تاب لربّه، ولكنّ توبته لم تَحُلْ بينه وبين الهبوط على ظهر الأرض إلى الحياة الدُّنيا بعد أن كان على أرض النّعيم قمّة وارتقاء؛ فآدم عصى ربّه، ثمّ تاب؛ فتاب الله عليه، ثمّ اجتباه نبيا، لِيُنبئ من بُعث إليهم نبيا، {اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}[46]، ومن هنا، يكمن أمل آدم في العودة إلى الجنّة ارتقاء؛ تلك الجنّة التي فقدها ولم يعد يراها نعيما على الأرض المغبرّة التي أهبط بها أرضا، ولكن كيف يعود آدم إلى ذلك النّعيم الوافر؟

لا سبيل له إلّا الاستغفار عن معصيته، والتوبة إلى خالقه؛ ففعل ذلك عن قلب؛ فاجتباه ربّه نبيا، وعلّمه ما لم يكن يعلم؛ فأدرك آدم أنّ فرصة العودة إلى الجنّة بعد توبته أصبحت ممكنة إن جعل لنفسه أملا وعمل عليه وأتقن عمله رفعة.

ولذلك؛ فَمِن بعد آدم أصبح العمل هو الممكّن من إحداث النُقلة وتحقيق الارتقاء رفعة؛ فتلك الجنّة التي خُلق فيها آدم لم يرها ابنيه؛ فهما ولدا في الحياة الدّنيا (السُّفلية)، ولكن إنباء أبيهما أصبح بينهما حُجّة وموعظة وعبرة؛ فبدأ العمل ارتقاء من أحدهما، وهو يأمل بلوغ ما أنبأه به أبوه الذي شهد ذلك النّعيم؛ فأخذ بالنبأ وأمل الارتقاء إلى النّعيم نصب عينيه، وفي المقابل أخاه أخذته الشّهوة انحدارا وسُفليّة؛ فقتل أخاه في الوقت الذي يبسط إليه أخوه يده

---

[46] طه 122.

محبّة، {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[47].

وعليه:

فالارتقاء مؤسّس على الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة ارتفاعا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحدار والسُفليّة، وذلك من أجل بلوغ ما يُمكّن من إحداث النُقلة الممكّنة من بلوغ الجنّة عيشا رغدا. ومن هنا، وجب العمل المحقّق للعيش المأمول الذي فيه الوفرة تغذي الرّوح، وتطمئن النّفس، وتخاطب العقل، وترضي القلب، وتشبع البدن، وتزيد الذّوق رفعة وارتقاء.

فآدم خُلق في الجنّة، وشهد على نعيمها، وفيها تمتّعَ، ثم حُرم منها وأهبط به والأرض دُنوّا، ولكنّه لم ينس ذلك العيش الرّغِد، والوفرة التي لا تُحصى، والتنوّع المتّسع جمالا، وبخاصّة بعد أن أصبح على الأرض التي لم تأخذ أيّ صفة من صفات الجنّة سوى الماء الذي يبقي على الحياة، ولا يُبقي على النّعيم؛ فأصبحت الحاجة تملأ نفس آدم وزوجه أملا في عودة إلى تلك الجنّة التي فقدها في ساعة غفلة.

[47] المائدة 28 . 30.

إنّ الحياة الدُّنيا، إذا ما قورنت بتلك الحياة العليا؛ فهي حياة الحاجات المنقوصة، وحياة الفتن والعداوات التي بدأت بين الأخوين (ابني آدم)، ثمّ اتّسعت وتكاثرت مع التكاثر؛ فأصبح الصّدام والاقتتال انحدارا من البعض، في مقابل ارتقاء البعض رفعة؛ فآدم الذي خسر ذلك الموقع الرّفيع، أصبح يأمل العودة إليه، ولذلك؛ فقد سعى استغفارا وتوبة أهلته لأن يكون نبيا ينبئ بما عُلّم به من قِبل خالقه، ومن ثمّ؛ فلا مكان له بعد النبأ العظيم إلّا الجنّة، التي لا تبلغ ارتقاء إلّا بالعمل الصّالح.

وعليه: أصبح العمل ارتقاء أمل المصلحين السّاعين إلى الكسب الحلال بلا حدود من أجل العيش الرّغد؛ فالسّاعون ارتقاء مهما بلغوا من المراتب والقمم؛ فهم يأملون مراتب عظيمة من بعدها قمّة أعظم، ولهذا؛ وجب العمل إتقانا حتى الارتقاء بالأرض الدّنيا ورتقها في السّماء جنّة.

ومن أجل ذلك، وجب العمل الممكّن من بلوغ الأحسن والأرقى، شريطة ألا يكون التحسّن على حساب إشباع حاجات الغير، بل ينبغي أن يكون العمل تُرسا من تروس عجلة الحياة العامّة، ذلك لأنّ الارتقاء الممكّن من السّعادة لا يمكن أن يتحقّق والغير يتألم؛ فالعمل وفقا لأهداف الحياة ينبغي أن يكون من ورائه غرض خاصّ، وهو: إحداث النُقلة، وغرض عام، وهو: تحفيز الآخرين

ودفعهم تجاهها، وإلّا فألم الغير لن يفسح الطريق أمام من يسعى إلى الارتقاء غاية.

بنو آدم في دائرة الممكن هم بين متوقّع وغير متوقّع، أي: أنّهم بين متوقّع الارتقاء ومتوقّع الدّونية، ومن جهة أخرى هم: يتبدّلون حيث لا ثوابت؛ فمنهم من يبقى على الارتقاء، ومنهم من يتخلّى عنه، ومنهم من نراه في دونية، ولكن من بعدها يبلغ القمم ارتقاء. ولذلك، ينبغي العمل مع بني آدم من حيث هم وفقا لأهداف واضحة ومحدّدة، من أجل الارتقاء بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه قمّة.

في دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يحدّد أهدافه، ولكنّه لا يعمل على إنجازها، وكأنّ تحديدها هو الغاية؛ وكذلك هناك من يحدّد أهدافه ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها؛ فالأهداف ارتقاء: ينبغي أن يكون من ورائها غرض تكمن من ورائه غاية تمكّن من نيل المأمول رغبة.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزل عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار

الشّيخ عند العقبة، حيث لا شيء ينجز سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة.

ومن ثمّ؛ فمن يريد أن يبلغ الغايات العظيمة؛ فعليه أن يجعل أهدافه درجات سلّم (درجة أعلى من درجة) أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلّم، أهّب قدمه الأخرى إلى الدّرجة التي هي أعلى من التي وضع عليها قدمه الأوّلى، ولذا؛ فلا ينبغي أن يغفل أحد من بني آدم ويضع قدميه معا على درجة من درجات السّلم حتى لا تنكسر بأيّ علّة ويجد نفسه قد وقع على الأرض الدّنيا حطاما؛ فالقدمان لا يوضعان بسلام وصاحبهما مطمئن إلّا على قمّة استراحة السّلم الذي يرتق الأرض مع السّماء أمل عظيما.

ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة؛ فلا بدّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلا، واحتراما، وتقديرا، واعتبارا، واستيعابا، وتفهّما، وتدبّرا، مع مراعاة البدء مع النّاس من حيث هم، من أجل ما يجب أن يكونوا عليه رفعة.

ومع أنَّ للألم أوجاعا، وللتأزّم أوجاع، ولكن أكثر الأوجاع بين بني آدم ما يتركه الغدر والخيانة من ألم، فآلام الغدر والخيانة لا تموت، حتّى وإن سامحك من أجرمت في حقّه؛ ولذلك، وجب أخذ الحيطة والحذر، حتى لا يحدث الوقوع في فخّ المصيدة مرّتين.

أمّا الحقد بين بني آدم؛ فهو حطب جهنّم يحترق قبل أن يحرق غيره، أي: إنّ نار الحقد تحرق أوّل ما تحرق حطبها (الحاقدين)، ولذلك؛ فالحقد يُلهي الحاقد من بني آدم في نفسه، والحاقد في حقيقة أمره في حاجة لمن يطفئ النّار عنه؛ فنفسه بها تحترق. ومن ثمّ؛ فمن يعتقد أنّه إذا تمكّن من عضّ يد أحد وعضّها؛ فلا شكّ أنّ عضّ اليد يفكر الآخر في أنيابه إن لم تكن له مخالب.

ولذا؛ فإنّ الجهل والحقد والظّلم والعدوان والكيد والمكر عندما تشتعل نيرانها بين بني آدم؛ إن لم يعملوا جميعا على إطفائها فلا سبيل لهم إلّا الاحتراق والتخلّف، والانحدار، والسُفلية المؤلمة، وفي المقابل الشّعوب ترتقي علما ومعرفة وتسامحا وخبرة وتجربة؛ فتغزوا الأرض سلاما، والسّماء بحثا وارتقاء.

فبنو آدم بلا أمل لا يعدون إلّا أمواتا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله؛ فسيبقون على أملهم وكأنّهم بلا أمل، أمّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل؛ فلا شكّ أنّه سيُسهم في إحداث النُقلة ارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنّ الذي يعمل على هدمه سيقع على رأسه قبل غيره.

وهكذا، هناك من يصدّق كلّ ما يقال، ثمّ يحمّسه بين بني آدم مثلما يحمّس القمح في الحمّاس؛ فلا ينبغي أن يكون بنو آدم سماعيّون فيصدّقون كلّ ما يقال، بل عليهم بالتذكّر اتعاظا، وعليهم

بالتدبّر تحليلا وتفسيرا وتخطيطا وسلوكا وعملا، وعليهم بالتّفكّر من أجل ما يجب، حتى يتمكّنوا من الارتقاء من خلال ما يمارسونه من حقوق عن رغبة، وما يؤدونه من واجبات عن إرادة، وما يحملونه من مسؤوليات وهم متحمّلون كلّ ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

وعليه:

فارتقاء بني آدم مؤسّس على ما أخبرهم وأنبأهم به أبوهم آدم، ومن بُعث من بعده من الأنبياء والرّسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولهذا؛ فهم يأملون العيش في ذلك النّعيم المنبئ عنه، ولأجل ذلك فمن آمن منهم يسعى ويعمل من أجله ارتقاء، ومن لم يؤمن ستظل فُرصه على قائمة الانتظار ما بقي حيّا.

فبنو آدم من أجل تلك الجنّة التي وُصفت بما وُصفت به من عظمة، يصلّون لله من أجل بلوغها، ويصومون ويزكّون ويتصدّقون ويحجّون ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجل بلوغها مأمولا، ولذلك، هم يصلحون أحوالهم ويعفون ويصفحون من أجل بلوغها، ويتعلّمون ويعملون من أجل الفوز بها جنّة مأمولة، ومع ذلك؛ فهم في حاجة للمزيد المعرفي الممكّن من زيادة الارتقاء قمّة، وخير وسيلة، المزيد من البحث العلمي والمعرفي في الكون المتسارع اتساعا وتمدّدا.

وهنا، أقول لبعض علماء الفيزياء وعلماء الفلك: ما قد تمّ اكتشافه عن الكون من قبلكم؛ فقد أخبرنا به القرآن الكريم الذي

أنزل قبل أن يفكّر أحد في غزو الفضاء، وقبل أن يتمّ اكتشاف أسرار من الكون، ولذا؛ فَلِمَ لا تتوقّفون عند الكتاب لتتبيّنوا قوله لعلكم ترشدون إلى المزيد من الاكتشاف العلمي، وإلى ما يُمكّن من الارتقاء من أجل بني آدم (النّاس جميعا). فإن كنتم أهل موضوعية فلا يليق أن تتجاهلوا كتابا يملأه العلم والبيّنة؛ فأنا لا أقول لكم: ادخلوا الإسلام، ولكن أقول: أنتم أهل علم، وها هو مصدر ثمين يملأه العلم آية وراء آية.

ولهذا؛ فلا ارتقاء لبني آدم إلّا والبحث العلمي مصدره، والفضائل الخيّرة مصدره، والقيم الحميدة مصدره، ومن يغفل عن ذلك ليس له من خيار إلّا الانحدار على بلاطة الدّنيا.

ومن ثمّ؛ فالارتقاء بالنّسبة إلى بني آدم أملٌ قابلٌ لأن يتحقّق ويتمّ بلوغه، ولكنّ مفهوم الارتقاء غاية لا يتّضح إلّا بمقارنةٍ بين العُلية والدُّنيا؛ فالعُلية هي السّماء وما فيها من نعيم الجنّة وبقاء الحياة، أمّا الدُّنيا؛ فهي: الأرض، وما عليها من مخلوقات وزوال الحياة. وبين هذا وذاك، وجد الإنسان نفسه بين التّخيير تارة، وبين التّسيير تارة أخرى؛ فالتّخيير: (تؤمن أو لا تؤمن، تعمل صالحا أو تعمل طالحا، تَصدُق أو تكذب أو تنافق أو تدّعي ما تشاء....)، أمّا التّسيير: فلا خيار لأحدٍ فيه (حياة أو موت، شروق أو غروب،

برق ومطر ورعد وصواعق وزلازل وبراكين وتمدّد كوني متسارع، ومفاجآت عظيمة....).

ولهذا؛ فالارتقاء قمّة، هو: ما يمكّن بني آدم من العيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزائلة) وما يمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العلية (الباقية)؛ فبنو آدم لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة، ومن هنا؛ فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء.

فالإنسان ينبغي أن يعيش والأمل لا يفارقه؛ فإن فارقه الأمل فلا معنى للحياة؛ فالله خلق أبانا آدم في النّعيم ليعيش وبنيه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزائلة (الحياة المنقوصة) حيث الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك؛ وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعة وارتقاء.

ولسائل أن يسأل:

أيّ حلّ تعني؟

أقول: حلّ أزمة الحياة الدّنيا، التي تتطلّب العمل، بهدف النّهوض، وغرض الارتقاء، وغاية بلوغ القمّة (الحياة الباقية) والعيش فيها أملا عظيما.

فيجب الإقدام على العمل المشبع للحاجات المتطوّرة بلا حدود؛ لأنّ الحدود عوائق أمام التقدّم تجاه بلوغ الأفضل والأعظم. ولهذا؛ فلا ينبغي أن يرتضي بنو آدم بالفقر؛ فالفقر مرض ينبغي القضاء عليه بالعمل المنتج؛ فلو عمل بنو آدم جميعهم، لما وجد الفقر مكانا له على الأرض، ولأنّهم لا يعملون جميعا؛ فسيظلون فقراء مهما استغنى منهم من استغنى.

ولذلك؛ فالغنى رحمة؛ والفقر أزمة ومواجع، ولأنّهما كذلك؛ وجب على الأغنياء العمل إلى جانب ما يعملون ويجنون من مكاسب من أجل إزالة الألم عن الفقراء وتحويلهم إلى ميادين العمل المنتج ارتقاء.

فالغنى ارتقاء حقّ لا يكون إلّا نتاج العمل المرضي، أمّا الفقر ليس بحقّ، بل الفقر أوجدته أسباب وعلل ينبغي أن تزال. أمّا العجزة والقصّر فحقوق عيشهم المرضي على كواهل العاملين من ذويهم، ولكن إن كان ذووهم يعيشون اتكالا على الغير فالعيب لا شكّ أنّه سيلاحقهم ومن ورائهم سيلاحق المسؤولين في الدّولة.

إذن؛ فالارتقاء لا يمكن أن يكون على حساب الغير، بل يكون بجهودهم المشتركة حيث لا إقصاء ولا تغييب لأحد عن ممارسة حقوقه، أو أداء واجباته، أو حمْل مسؤولياته. وفي المقابل

يحدث الانحدار والنّزول سُفلية لمن يتخلّى عمّا يجب التمسّك به حقّا وواجبا ومسؤولية.

ولذلك، ينبغي أن يعمل الجميع بهدف الاستغناء والحياة الرّاقية، وكلّما بلغ الجميع مستوى من العيش الرّفيع الرّغد يجب أن يفكّروا فيما هو أرفع وأرغد منه حتى تُرتق الأرض والسّماء بالعمل ارتقاء.

الأمل وارتقاء الأخلاق:

تعد الأخلاق نتاج القيم الحميدة، والفضائل الخيّرة، التي تستمدّ من الأديان والأعراف ارتقاء، بها يرتقي الإنسان قولا وفعلا وعملا ومعرفة وسلوكا من أجل علاقات اجتماعية وإنسانية مؤسّسة على نيل التقدير والاعتبار.

فالإنسان أساس خلقه الارتقاء (في أحسن تقويم) وأمله الارتقاء خُلُقا إلى ما يجب؛ ومع أنَّ الأخلاق بيد النّاس، ولكن البعض انحدارا يخسرها بلا ثمن.

ولذلك؛ فالإنسان الأوّل قد خُلق من تراب الجنّة؛ وظل على خَلقه سلالة بشرية تمتدّ بين طينٍ لازب وماء دافق، ولا انحدار عن الخَلق المقوّم ولا تطوّر من بعده؛ فالإنسان هو الإنسان. ولكن الانحدار والتطوّر في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع؛ فآدم عليه السّلام وزوجه خُلقا في الجنّة من تراب الجنّة، ومع ذلك تعرّضا

لإغواءٍ جعلهما على حالة من الانحدار عن الفضائل التي أمر بها الخالق تعالى، حيث عدم التزامهما بالأمر النّاهي عن الأكل من تلك الشجرة، {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[48].

إذن؛ فالبقاء في الجنّة بقاء فضائل خيّرة، فمن لا يكون عليها لا يكون فيها، فحتى آدم عليه الصّلاة والسّلام الذي خُلق في الجنّة خَلقا، أُهبط به على الأرض الهابطة إلى الحياة الدّنيا، وذلك بأسباب معصيته وميله لوسوسة من أغواه شهوة.

ولأنّ الأخلاق يتمّ تشرّبها فضائل خيّرة؛ فبعد أن تلقّى آدم كلمات من ربّه ترشد إلى التي هي أقوم تاب الله عليه، {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[49]، ومع ذلك صدر الحكم عليه والأرض ومن عليها من المخالفين أن يهبطوا من علوٍ وارتقاء إلى سُفليّة ودونية، {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا}[50].

ولأنّ الهبوط كان نتاج الانفتاق العظيم؛ فهو خروج من الجنّة، حيث ظلّت الجنّة في العلو رُقيّا، وظلّ آدم ومن معه من المخالفين

[48] البقرة 36.

[49] البقرة 37.

[50] البقرة 38.

والعصاة (الإنس والجن) يحيون الدّنيا على الأرض الدّنيا، وفي المقابل بقي الملائكة الطّائعون في علوّ الجنّة ارتقاء، ولا يتنزّلون إلى الأرض الدّنيا إلّا تنزيلا لأداء مهمّة تربط أمرا بين السّماء والأرض، نحن نجهله، {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذنِ: رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}[51].

ولأنّها الأرض الدّنيا، وحياة المخالفين والمختلفين عليها مملوءة وسوسة وإغواء؛ فلا إمكانية لأن تكون فيها الحياة آمنة مستقرّة لو لم تتنزّل الرّسالات والأنباء الواعظة والنّاهية والآمرة والمحذّرة والمنذرة والمبشّرة بما هو أمل يشبع حاجة ويرضي رغبة؛ وذلك من أجل علاقات إنسانية تنظّم أساليب الحياة ارتقاء وتلفت المختلفين إلى ما يؤدّي إلى الاتعاظ، ويمكّنهم من إحداث النُقلة وبلوغ القمّة المأمولة.

الأمل بين الارتقاء والدّونية:

كان خَلقُ آدم في أحسن تقويم، خلقا مُميّزا بملكة الاختيار والتدبّر التي كلّما أُحسنت إدارة حفّزت على الأخذ بما يجب، وكلّما سِيئت إدارة حفّزت على الانحدار إلى المنهي عنه، وبين هذا وذاك، فآدم لم يحسن الاختيار المبقي على حُسن التقويم؛ فانحدر معصية

[51] القدر 3 . 5.

مع انحدار شهوته ورغبته؛ التي جعلته على الهبوط إلى الحياة الدّنيا بعد أن كان في السّماء قمّة.

ولأجل الإيضاح:

هل خُلق آدم على الارتقاء خلقا، أم أنّه جُعل عليه جعلا؟

أقول:

لو جُعل آدم على الارتقاء جعلا، لكان الارتقاء مستقلّا عنه وسابقا عليه، ولأنّه لا سابق على آدم ارتقاء؛ فهو المخلوق عليه خلقا، (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)، ولأنّه خُلق على الارتقاء خلقا، قال (في أحسن تقويم)، وفي المقابل لو كان آدم قد جُعل على الارتقاء جعلا لقال تعالى: (على أحسن تقويم) وهو المأمول غير المتحقّق في ذات آدم خلقا، وهذا ما يخالف دلالة الحُسن التي خُلق فيها آدم خلقا.

ومع أنَّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، لكنّه انحدر إرادة ومعصية؛ فكان في سُفلية ودونية أمام خالقه، {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[52]. ومع ذلك استغفر آدم ربّه فتاب عليه، ومن هنا، فتح

---

[52] التين 5.

الله باب التوبة لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات، {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[53].

وهنا، الاستغفار جعل آدم يأمل الارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفلية؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لا يعد هينا؛ حيث لا عودة إلّا بالعمل الصّالح الممكّن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أمل آدم بعد أن كانت بين يديه.

ولأنّ العمل ارتقاء يؤدّي إلى ما يُنقذ بني آدم من الألم، كما يؤدّي إلى ما يُغرقهم فيه؛ فهم بين هذا وذاك بين ارتقاء فيه العمل يُتقن، وبين دُونية بها يُهمل وينحرف به إلى ما لا يجب. ولذلك، كان الصّدق ارتقاء في مواجهة الكذب انحدارا، وكان العدل ارتقاء في مواجهة الظلم انحدارا، وهكذا كان الحقّ في مواجهة الباطل، والحرّيّة في مواجهة الاستعباد، والديمقراطية في مواجهة الدكتاتورية، والاستيعاب في مواجهة الهيمنة والإقصاء، وبين هذا وذاك يجب التحدّي بما يمكّن من الارتقاء قمّة.

ولأنّ بني آدم بين ارتقاء ودونية؛ فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وما يؤدّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشأن.

---

[53] التين 6.

ولذلك؛ فالعمل الصّالح ارتقاء لا يكون إلّا عملا منتجا ومتقنا ومبدعا ومرسّخا لقيمة الإنسان، وفي المقابل العمل الفاسد والرّغبة الفاسدة، لا يكونان إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين، ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة، ومن ثمّ؛ فالعفّة والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء المسؤولية ارتقاء، ستظل قيما في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُفلية والدّونية التي تتمركز على الأنا.

فالارتقاء لا يمكن أن يبلغه بنو آدم إلّا عدلا وعملا وعفوا وصفحا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغوه إلّا ظلما وإهمالا وتشدّدا وتطرّفا، ولذا، في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فمن شاء الارتقاء عمل من أجله ارتقاء، ومن شاء الانحدار عمل من أجله سُفليّة.

الأمل خوفا:

الخوف توقّع حذري قبل وقوع الفعل؛ فهو يستوجب اتقاء ما سيقع، وقد يُحدث أمرا غير مُرضٍ، أو أنَّه يُحقّق أملا، والخوف هو ما ليس بجُبنٍ، فالجبن لا يكون ساكنا إلّا في نفس من يعرف الحقيقة تجاه ما يجب ولا يقدم عليه، والخوف لا يكون إلّا في دائرة المتوقّع من أجل الإقدام على، أو الانتهاء عن، دون تأخّر ولا جبن. وهنا يتماثل دور الخائف مع الآمل.

ولذا فالخوف استشعار للمستقبل واستطلاع لِما قد يَحلّ به وقد يؤثّر تأثيرا سالبا على الفرد أو الجماعة أو المجتمع وما يمتلكون، وحتّى لا يحدث تُبْذل الجهود من قِبل مستشعريه وقاية منه أو استبدالا له، أو استغناء عنه في دائرة الممكن. ومن هنا يتخذ الآمل موقفه أملا.

ومع أنَّ معظم معلومات العامة من النّاس عن الخوف هي معلومات عن سالبٍ، إلّا أنَّ حقيقة أمره لا تربطه بسالبٍ؛ فالعامة على سبيل المثال: يخافون من الظلمة، ولكن هل يوجد شيء من مكوّنات الظلمة يخيف؟

بالتأكيد الظلمة لا تُخيف، ولكن ما قد يفاجئك وأنت في زمن الظلمة قد يُلحق بِكَ ألمٌ أو ضررٌ، ولهذا ينبغي أنْ تكون عند الظلمة حذِرا متيقّظا، وإن لم تكن كذلك فقد تفاجأ بما هو غير متوقّع، وعندها قد تحدث الخسارة، ولكن بفضل الله علينا خلق الخوف في أنفسنا وجعله قابلا للاستشعار العقلي ليتّخذ الإنسان حذره ممّا يُخيف، ويولّد أملا ويعمل عليه حتى يناله مأمولا.

فالخوف الذي هو من خَلق الله فينا خلقا، هو دائما موجب، ولا حُجّة للبعض الذين يرون أنّ الإنسان قد خُلق على السلبية في مقابل قوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[54]؟

[54] التين 4.

ولأنَّ الخوف موجب فكلّ عاقلٍ منّا يخاف المرض ولا يخاف الموت؛ ذلك لأنّ للمرض دواء؛ فكلّنا نسعى إلى بلوغه والعمل من أجل الحصول عليه؛ فتجرى التطعيمات الوقائية للنّاس عن المرض استباقا، خوفا من حدوثه، أمّا الموت فلا دواء له، ولهذا لا أحد يفكّر في علاج الموت، ولهذا الآمل لا يقفه أحد عن أمله إلّا الموت.

ولأنّ الخوف يصنع المستقبل؛ فكلّنا نسعى لتوفير الماء قبل أن يلمَّ بنا العطش، ولأنّنا نجوع؛ فنسعى لتأمين غذائنا قبل أن تلمّ بنا أزمة الغذاء وألم الجوع، ولأنّنا نخاف من الوِحدة، فنسعى جميعا من أجل تحسين علاقاتنا الاجتماعيّة مع الآخرين أبوّة وأخوّة وعمومة وقرابة وجيران كرام كي لا يلمّ بنا ما يخيف، وحينها نتمكّن من بلوغ السكينة التي تكسو الآمل بصطة من الأمل الذي يمكّن من الفوز بالمأمول.

ولأنّنا نعرف ما تتركه السّرقة من ألم؛ فنسعى للتأمين على ما نمتلكه قبل أنْ تحدث السّرقة، ولذا فمن لم يكن خائفا فطنا سيدفع ثمن غفلته ألما. ولهذه العلل لا مستقبل بلا أمل؛ فمن شاء مأمولا فعليه بالخوف على مستقبله عملا.

وهكذا من لا يصنع لنفسه أملا لن يبلغ مأمولا، ومن لم يرسم الاستراتيجيات والخطط لمستقبل أفضل، لن يجد لنفسه مكانة يتبوّؤها بين النّاس، ولن يكون له مستقبل مفضّل ولا مقدّر، بل قد

يجد نفسه على الرّصيف جالسا على قارعة الطريق متسوِّلا، أو سجينا بين الجدران بأسباب فقدانه مشبعات الحاجة.

ولأنّ الخوف نعمة من نعم الله علينا؛ فكلّ عاقل ليس له بدٌّ إلّا أنْ يُفكّر في كلّ ما من شأنه أن يجنّبه ما يخيف، ولا أهم من أن يصنع العاقل لنفسه أملا من ورائه آمال.

ولسائل أن يسأل:

الخوف من أجل ماذا؟

نقول:

من أجل السّلامة، ولذا فمن يحرص على الإقدام على ما يخيف من أجل التخلّص منه أو تجنّبه بما يحقّق السكينة والأمن، سلم. وإلّا لماذا الآباء يخافون على أبنائهم؟

بطبيعة الحال خوف الآباء على أبنائهم هو من باب الحرص عليهم وتحقيق السّلامة لهم. ولذلك فمن خاف سلم، ومن لم يخف ألقى نفسه في التهلكة.

وعليه فالعلاقة قويّة بين الخوف والتدبُّر، والتفكّر، والتذكّر، والأمل، أي لماذا الإنسان العاقل ينبغي عليه أن يتدبّر أمره، ويتذكر ماضيه، ويفكّر في مستقبله، ويصنع له أملا؟

نقول:

يتدبّر حاله في الزّمن الآن من أجل أن يستمدّ القوّة التي بها يتمكّن من التذكّر والتفكّر، فيتذكّر الماضي لكي يتدبّر حاضره عن بيّنة، ويعرف ما يجب أن يَقدِم عليه في مستقبله، أمّا التفكّر فلا يكون إلّا في كلّ ما من شأنه أن يحفّزه على صناعة المستقبل الذي لا تنضج المأمولات إلّا فيه، ولهذا فالعلاقة واضحة بين الخوف والأمل كون كلاهما في حالة سباق مع الزّمن، وكون كلاهما لا يكونان إلّا تدبّر بعد تذكّر وتفكّر.

وكما أنّ هناك علاقة موجبة بين الخوف والتدبّر والتفكّر والتذكّر؛ فكذلك هناك علاقة سالبة بين الخوف والوهم والحلم والتمني؛ فالوهم مجرد افتراضات لا علاقة لها بالواقّع (تخيّل ليس إلّا)، أمّا الخوف فلا وجود له إلّا مع واقع، ولهذا فالفرق كبير بين متخيلات الوهم والحلم والتمني وما يكشفه الخوف حقيقة. فالآباء في كثيرٍ من الأحيان يرسمون صور وهميّة في أذهان أبنائهم عن المجهول بالنسبة إليهم بغرض السيطرة عليهم وجعلهم تابعين؛ فالغول الذي ليس له صورة لعدم وجوده حقيقة، صورته لم تمحَ من أذهان الكثيرين من أبناء العالم المتخلّف.

ولأنّ للخوف والأمل علاقة وثيقة مع المستقبل؛ فالنّاس تخاف من مفاجِئات الزلازل؛ فتسعى في البحث لأجل أن تتمكّن من المعرفة العلمية التي تكشف مؤشرات الزلازل قبل وقوعها تفاديا لِما

قد تحدثه من كوارث، فالمهندسون وخاصة المعماريون هم دائما على أمل وخوف، ولهذا يبحثون عن كيفية إيجاد تصميم معماري يُسهم في تفادي الهزات الأرضية أو الحدّ ممّا تؤدّي إليه من أضرار.

ولأنّ الخوف فطري؛ فكلّ المخلوقات الحيوانية حالها كحال الإنسان تخاف فطرةً لا تعلّما؛ فالخروف بدون شكّ يخاف الذئب، والذئب يخاف الكلب، والكلب يخاف صاحبه ولا يخاف أعداءه، وهكذا الدجاج يخاف الثعالب، والثعالب تخاف الصيادين، ولكن دون تدبّر؛ فكلّ سلوك حيواني يكون الحسم فيه في أثناء المواجهة للأقوى، ممّا يجعل للمفاجئة مكانة في إلحاق المغالبة بين حيوانا وآخر.

ومع أنَّ الخوف والأمل يتماثلان من حيث وجوب العمل وضرورته من أجل المستقبل الآمن، ولكنّهما يختلفان من حيث: أنّ الخوف فطري، أمّا الأمل فليس كذلك؛ فهو مولود العقل والتفكير فيما يجري بغاية تأمين المستقبل المأمول.

والفرق بين الخوف على المستوى العاقل والمستوى الحيواني هو أنَّ الإنسان يخاف فيتدبّر أمره مسبقا من أجل أن يتفادى المخاطر المقدّرة تقديرا بحسبان؛ فالمسلم يعلم أنّ أمامه مستقبل بين (سكينة وألم) وله أن يختار إرادة (جنّةً أو نارا) ولهذا فالمؤمن في حياته الدنيا يتّقي الشرور ويبتعد عن ارتكاب المظالم خوفا من النّار وحبّا في

الجنّة، ولهذا فهو يُصلّي ويُزكّي ويصوم ويتّبع أمر الله ونهيه، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويسعى للإصلاح في الأرض وإعمارها، أمّا غيره من بني جنسه (الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم)؛ فهم غافلون، {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ}[55] ولهذا لم يعملوا على صناعة مستقبلهم وهم في الحياة الدنيا، ولذا فالخوف تفادٍ للفعل المؤلم سواء أكان هذا الفعل في الحياة الدنيا أم أنّه عندما يكون مترتِّبا عقابا في الحياة الآخرة على ما لم يُفعل في الحياة الدنيا أو أنّه فُعل عن غير طاعة لما يجب أن يُفعل إرادة.

ولأنّ الخوف يُجنّب الألم؛ فالآملون الواعون يتجنّبون لحظة الغضب بحكمة وتدبّر، بغرض إضاعة الفرصة على الغاضب وإعادته لرشده؛ ولذا فإنْ لم يتمّ تفادي الغضب لحظته تحدث المواجهة المؤلمة؛ فتتأزّم الأمور ويتصدّع البناء الأسري أو العشائري أو أيّ بناء اجتماعي وإنساني على مستوى الأفراد والجماعات وحتى الدول.

وهكذا العالم المتقدّم دائما يَقدم على كلِّ شيء يمكن أن يُسهم في صناعة المستقبل الأفضل؛ فبالنسبة إليه كلّ شيء بحسابه؛ ولذا كلّ يوم نلاحظ أسعار النفط والذهب والفضة والعملات وأسعار الأسهم وما شابهها اقتصاديا تتغيّر وتتبدّل قيمها أحيانا بتعديل رؤية في سياسة منظّمة الأوبك أو تصريح من رئيسها أو

[55] الحجر 3.

تصريح من أيّ رئيس له أثر فعّال على الساحة العالمية، أو إذا وقعت كارثة طبيعية أو غير طبيعية من حروب أو حتّى تهديدات باردة ترتفع بأسبابها أحيانا جميع الأسعار عقاريّة ومالية وذهبية ونفطية وفضيّة وغيرها، وكلّ ذلك بأسباب الخوف التي تجعل الكلّ يأخذ حذره الذي به يتمكّن من تأمين مستقبله المأمول.

وعليه: النّاس جميعا يخافون في ظروف متشابهة أو ظروف مختلفة، فالخوف انفعال طبيعي مرتبط بالفطرة، وثمّة مخاوف تكون وهميّة لدى البعض إذا تكرّرت بانتظام في غياب مخاطر حقيقية، وهي مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بتجربة مخيفة نتج عنها رعب.

الخوف صفة للخائف؛ فمثله مثل أيّ صفات أخرى يمكن أن يتّصف بها الإنسان، وطالما أنّ الخائف موصوف بما يمكن أن يتّصف من صفات ومن ضمنها الخوف؛ فإنّ الصفة التي اتّصف بها ـ أيّة صفة ـ إمّا أن تكون صفة عارضة تزول بزوال مسببها، كاصفرار الوجه الذي يسببه المرض مثلا، أو أنّها صفة لازمة خلقية كلون البشرة والشعر والأعين، أو فطرية غريزية من الصفات الإنسانية التي تنقسم إلى مادية ونفسيّة روحية، فالمادية كالشعور بالجوع والعطش التي تزول بزوال مسبباتها بعد الأكل والشرب وإن تكرّرت بانتهاء مشبعاتها، ويكون المنبّه عليها داخليا يشغل حيزا ماديا معيّنا، وأمّا النفسيّة الروحية التي لا تنفكّ عن الجسد ولا يعرف

موطنها فيه، كالشجاعة والجبن، والكرم والبخل، والخوف والأمن، تسكن في الحيّز الإنساني فطرة غريزيّة لا يعرف موطنها، وتفترق عن الصفات المادية بأنّها تستثار وتهدأ بمثيرات خارجية وهي ملازمة في الحالتين:

. حالة الاستثارة.

. حالة الهدوء.

فالكرم صفة مثل صفة الخوف، ذلك أنّ الذي يتّصف بها يكون كريما، ولا تظهر فيه صفة الكرم إلاّ بمثيرين اثنين:

الأول: من يقوم الكريم بإكرامه.

. الثاني: ما يقدّمه لمن يكرمه.

فإذا تلاشى كِلَا هذين المثيرين لهذه الصفة أو أحدهما، فإنّ صفة الكرم تهدأ في نفسه ولا تتلاشى، وذلك إمّا لأنّه لم يجد من يكرمه، أو أنّه لا يجد شيئا يُكرم به، وبهذا تبقى الصفة قائمة في النفس لحين استحضار مثيراتها ودوافعها من الأسباب.

والخوف لو كان مكتسبا لَعمِلنا جاهدين على إيجاد نقائض أسبابه بطريقة الكسب، وتخلّصنا منه إلى النهاية حتى تسود آمالنا بلا مخاوف، ولكن لو لم يكن الخوف فطريا في أنفسنا ما فكّرنا في صنع أمل لا يتحقّق إلّا مستقبلا.

وعليه: فالخوف صفة لازمة للخائف ولغيره، وذلك أنّ الخائف تكون صفة الخوف لديه لازمة ظاهرة، وأمّا غير الخائف؛ فإنّ صفة الخوف لديه لازمة باطنة، وهذا يعني أنّ الخوف جزء من تكوين الإنسان النفسي كونه فطريا غريزيا، ومعلوم أنّ الصفات الفطرية التي ترتبط بالجانب النفسي لها علاقة مباشرة في حياة الإنسان؛ فإن أحسن الإنسان استخدامها، أدّت وظيفتها الإيجابية التي وجدت من أجلها، وإن كان غير ذلك؛ فلا بدّ أن تكون النتائج عكسيّة.

ولما كان الخوف صفة فطرية لازمة؛ فلا بدّ أن تتناسب هذه الصفة مع مراحل الإنسان الحياتية وتنمو مع نمّوه بما يناسب التحذير من المخاطر التي تحدق به في كلِّ مرحلة من مراحل حياته، إذ لولا الخوف الفطري لهلك كثير من النّاس وخاصة الأطفال الذين لم يصلوا إلى مرحلة التمييز العقلي، وهنا تظهر صفة الخوف نعمة ممّا أنعم الله تعالى بها على خلقه، ولذلك يكون الخوف عندهم نوعا من الحواجز التي تردعهم عن المخاطر في تلافيهم إيّاها، وكلّما كبر الإنسان كبر خوفه بنمو عقله خوفا تحسبيّا، لا بمعنى الجبن والتخاذل، وإنّما بمعنى تقدير المخاطر التي تؤدّي إلى ضرر، ومعرفة المكاسب التي تؤدّي إلى النفع، وعليه فخوف الإنسان خوفان:

1 . خوف من أن يدركه شيء.

2 ـ وخوف من أن يفوته شيء.

فكلّ إنسان يشغله حيّز من الخوف منذ ولادته، حيث يكمن هذا الخوف في نفسه وإن كان آمنا، كما يشغل النفس حيّز آخر من الأمن والآمان، ويدور صراع النفس مع الخوف إمّا من أجل الحصول على الأمان أو المحافظة عليه حال وجوده، ومن هنا يجب أن يكون الخوف والأمن متوازيان لدى النفس الإنسانية، أو بعبارة أدق يجب أن يكونا متعادلين، بحيث لا تستغني عن الخوف ولا تكتفي به، كما أنّها لا تستغني عن الأمان ولا تكتفي به، ووجود الخوف الفطري المصاحب للأمان في النفس الإنسانية لا بمعنى الاصطحاب وإنّما بمعنى الكمون، يعطي الإنسان فسحة للتفتيش عن الأسباب التي تهدِّي مخاوفه حال الاستثارة من خلال إيجاد المنافذ الأمنية والاطمئنان إليها عندما تطغى على المخاوف، ولذا نرى أنّ الأمان يمنح فرصة أكبر للوقوف على مصادر الخوف، لأنّه يمنح العقل انطلاقة التفكير بما يجب وما لا يجب، ومن هنا يكون الأمان مستثيرا للخوف في اللاوعي؛ فعندما يقف الإنسان من خلال اللاوعي على مصادر الخوف ومخاطر تلك المصادر؛ فيعود إلى وعيه ويبحث عن مثبتات الأمان من خلال خوفه، ولذلك فالنفس المطمئنة هي التي تتعادل لديها كفتي الأمن والخوف، الأمر الذي يمنحها الاتزان من خلال التوازن بين الجانبين؛ فإذا طغى الأمن على الخوف كان ذلك مدعاة للإفراط في الثقة بالذات، وهنا مكمن

الخطر، وإن طغى الخوف على الأمن أدّى ذلك إلى الانسحاب المفضي إلى الجبن، ولذلك لابدّ لأيّ إنسان أن يمتلك قسطا من الخوف يوازي أمنه ويحافظ عليه، ذلك أنّ هذا القسط من الخوف الذي يعتري الإنسان، يكون نواة تبلور السكينة والأمن والطمأنينة ومصدر لها، فإذا تنكّر الإنسان لخوفه، انطلقت نفسه على هواها، وهذا الانطلاق يؤدّي إلى الانزلاق الذي لا يمكن التخلص منه إلاّ بالعودة إلى الخوف استشرافا للمستقبل مكمن الآمال من أجل التخلّص من القلق والاضطراب، فإذا كان البعض يرى أنّ أزمة الإنسان في الوقت الراهن في عصرنا هي الخوف، فإننا نرى أنّ عدم الخوف هو أزمة أكبر لما يُحدثه من مخاطر، فلو كان الخوف قائما في النفس لوجب أن يكون هذا الخوف دافعا للحصول على الأمن والسكينة والطمأنينة من وسائلها الأمنية بأسبابها الخوفية؛ فإن تغلّب الخوف على الإنسان ولم يكن خوفا متوازنا يرافقه جانب أمني، يتحوّل هذا الإنسان إلى جبان فقد اتزانه وقدرته على مواكبة الحياة، وبهذه الحال يكون قد وصل إلى مرحلة الخوف من الخوف، والذي يحلّ المشكلة برمّتها هو حسن التعامل مع الخوف ضمن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولذا وجب على الإنسان أن يواجه خوفه مواجهة عقلية انطلاقا من واقع يستشرف المستقبل بحيث يكون الخوف دافعا للبحث عن منافذ الأمن ومسببا للطمأنينة من خلال نظرة استشرافية للمخاطر التي يمكن أن يأتي بها الخوف

مستقبلا، وبهذه النظرة في طريقة التعامل مع المخاوف، يكون قد سخّر خوفه خدمة لمستقبله إن علم أنّ الخوف صفة لم يتّصف بها إلاّ من أجل الانطلاق نحو المأمول.

فالخوف هو ذلك المحفّز الإيجابي للعاقل الذي يدفعه إلى التحصّن ضدّ الشرور باستدعاء مفردات الخيرات في البحث عنها وتأمين سبلها ومسبباتها خوفا من سيطرة مفردات الشرّ التي تحمل الألم والضرر والأذى، وما يترتّب عليها من حزن وقهر وحرمان، تؤدّي إلى حسرة ولوعة وخسران.

ولما كان الخوف ملازما للإنسان غريزة وفطرة، فإنّه لم يكن قبله، ولم يأتِ بعده، مما يعني أنّ صفة الخوف هي شعور يختصّ بالمستقبل؛ فيبدأ الإنسان من خلال خوفه بتحصين نفسه ضدّ المخاطر التي يدرك أنّها تؤدّي إلى الضرر أو الأذى وأحيانا تصل إلى درجة الهلاك، ومن هنا يبدأ الفرد في تحصين الذات ضدّ أشياء يخشاها بداية أثارت مخاوفه؛ فيتحصّن ضدّ الجهل والفقر والمرض والعدو، وضدّ العطش والجوع والحرّ والبرد، وأشياء أخرى تثير مخاوف الإنسان أكثر من أن تحصى، ولو لم يكن هناك خوف من هذه الأشياء لما سعى الإنسان لتأمين مضاداتها التي تقف حائلة في وجه ما يثيره الخوف وما ينتاب الإنسان من هذه الإثارة، وبذلك يكون الخوف مدعاة لتأمين العلم والمال والدواء والقوّة، وكلّما ازداد

خوف العاقل ازداد مع هذا الخوف تحسّبه لما يمكن أن يأتي من مخاطر، فيكيّف نفسه وفق المخاوف التي يتوقّعها بما يعد لها من عدّة للمواجهة، وهكذا يكون الخوف سببا للأمان والأمن والطمأنينة وبخاصّة عندما يصبح للنّاس آمال منقذة.

وكلّما اتسعت دائرة الإنسان، اتسعت مع ذلك دائرة المخاوف التي تحدق به؛ إذ إنّ الامتداد الأسري للإنسان، هو امتداد لمخاوفه، ذلك أنّ خوف الأسرة أكبر من خوف الفرد؛ فالخوف على مستوى الأسرة يكون أوسع نطاقا وأبعد مدى من مجال الفرد، وبالتالي فهو دافع أكبر وأوسع في استشراف مستقبل الأسرة وما يحيط بها من مخاطر توجب صناعة آمال تنقذ ممّا يخيف.

وهكذا عندما تتّسع دائرة الفرد الإنسانية، يتّسع معها مجال مخاوفه، وبالتالي يجب أن يتّسع مع تلك المخاوف البدائل التي تقف في وجه تحقيق أهداف الخوف، ولذا نجد أن ما تحقّقه الدولة لا يحقّقه الفرد ولا تحقّقه الأسرة، لا بمعنى الإمكانات المادية، ولكن بمعنى الإنجازات التحسبيّة الناتجة عن المخاوف ومسؤوليتها تجاه مواطنيها خوفا عليهم.

الخوف هو الوضع الطبيعي لدى الإنسان العاقل؛ فما من عاقلٍ إلّا وللخوف في نفسه مسكن ومكمن، وهذا السّكون والكمون للخوف في النفس الإنسانية صفة لازمة للمخلوق العاقل

تحافظ على اتزانه بين المخيفات التي تحمل المخاطر والمطمئنات التي تؤدّي إلى الاستقرار، وهذا التوازن في الوضع الطبيعي للخوف الكامن في النفس يشكّل نقطة صفرية لا سالب فيها. وهذه بالتمام تتماثل مع الأمل الذي يجعل الزمن صفرا عندما يسابقه الآمل عملا منتجا ومبدعا.

ومعلوم أنّ العواطف لها مثيراتها الداخلية والخارجية، تدفعها إلى الظهور بصور شتى من الانفعالات التي تعبّر عنها الحركة والسكون في النطق والصمت، والقول والفعل، والتصرّف والسلوك، وردود الأفعال؛ فنلمس من خلالها حالة نفسية معيّنة ترتبط آثارها بالعاطفة المثارة، ممّا يدفع العقل إلى إشغال الفكر في البحث دائما عن الأسباب التي تعود بالنفس إلى وضعها الطبيعي نقطة الصفر لا سالب ولا موجب.

فالذي يضحك لا يمكن أن يستمرّ ضحكه إلى ما لا نهاية، والحزين لا يستمرّ حزنه أيضا، والمسرور لابدّ أن يقف سروره عند حدٍّ، وهذا ينسحب على الخوف الذي استنهضته المخاطر من مكمنه، وهو بدوره ينبّه العقل عليها وليس على حجمها؛ لأنّ تقدير حجمها والبحث عن حلول لها في المواجهة والصدام، أو التلافي والابتعاد هي مهمة العقل كي يعود الخوف إلى مكمنه بمأمول منجز.

إنّ الإنسان العاقل يحمل خوفه في نفسه، والذي يقول إنّه لا يخاف؛ إمّا أنّه غير عاقل وهو صادق في دعواه، وإمّا أنّه عاقل فأراد أن يخفي خوفه، ولكنّه برهن على وجوده بمعرفة الخوف، لأنّه لو لم يعرف الخوف أصلا لكان سأل عنه، وما كان جوابه أنّه لا يخاف.

والذي يقول إنّه لا يخاف، هو لا يفهم الخوف، ذلك أنّ الله تعالى أودع هذه العواطف في النفس الإنسانية رحمة بالإنسان من جهة، وهي من باب التقويم الأحسن من جهة ثانية، إذ لولا هذه العواطف ومن ضمنها الخوف إن لم يكن في مقدمتها، لما استقرّت حياة الإنسان؛ فلو قال إنسان إنّه لا يخاف وقدّمنا إليه النّار، أو قربناه من النّار، هل سيستمرّ إلى النهاية أم أنّه سيتراجع وينسحب؟

لا شكّ أنّه سيمتنع عن الاستمرار والمواجهة، فإن لم يقل إنّه تراجع خوفا، سيقول إنّه تراجع بسبب ما تحدثه النّار من أذى.

فما الذي جعله يدرك هذا الأذى الذي تحدثه النّار ويعمل على تجنّبه؟

ربما يقول قائل: إنّ العقل نبّه على خطر النّار بأنّها مؤذية ومحرقة فامتنع عنها وابتعد، ونحن إلى هنا لا نخالفه في دعواه.

ولكن ما الذي جعل العقل يتنبّه إلى ذلك الخطر؟

هنا تنحصر الإجابة في اتجاه واحد لا سبيل إلى غيره، ذلك أنّ النّار التي استثارت الخوف من النفس دفعت العقل إلى التفكير في حلٍّ للقضية؛ فأوعز العقل بالتراجع بداية، وصاحب العقل إن لم يتراجع وأقدم على النّار، فإنّ ذلك لا يعبّر عن عدم الخوف، وإنّما يعبر عن خوفٍ من مخاطر أكبر ممّا تحدثه النّار، والذي لا يتراجع عن النّار بدافع الخوف منها والتجأ إليها، إنّما هو شعور بمخاطر أعظم ممّا تحدثه النّار ظنّا منه بتقدير أقلّ الخطرين، وذلك كمن يدفعه خوفه من خطر وحش أو حيوان مفترس ويهرب أمامه من المواجهة وربّما لا يلتفت الوحش إليه؛ فإذا صادفه في أثناء هروبه بئرٌ أو حفرة عميقة فقد يلقي نفسه في تلك الحفرة، وقد يؤدّي ذلك إلى هلاكه، ولو بقي على حاله الأوّل ربمّا لا يقربه الوحش ولا يفترسه، ولو أنّه واجه تلك الحفرة دون الوحش المفترس لما ألقى نفسه بها، لأنّه يخاف من خطر الإلقاء أن تكسر يده أو رجله أو أن يهلك، ولكن الخوف الذي نبّه على الخطر دفع العقل إلى طرح البدائل والموازنة بين أنواع مخاطر المخاوف وفوّض الإرادة بتنفيذ القرار، فكان اختيار ما هو متوقّع أن يكون أقلّ خطرا بدافع الخوف، وربّما يكون أكثر خطرا وغير متوقّع بدافع الخوف أيضا.

ولو كان هذا الموقف واجه إنسانا غير عاقل على سبيل الافتراض؛ فإنّ الخوف نفسه هو الذي يدفعه إلى تلافي المخاطر؛ فالفطرة الخوفية التي كانت تتعامل مع العقل، انتقل تعاملها إلى

الغريزة حال غياب العقل، وهنا لا يتساوى الخوف من المخاطر بين العاقل وغير العاقل، لأنّ غير العاقل حال غياب العقل يكون تأثير الخوف على نفسه أقلّ، وذلك لعدم تحفيز العقل المقدّر لحجم الخطر، وبالتالي لا تتساوى لديهما البدائل في إيجاد الحلول التي تدفع المخاطر أو تمنعها، لثبوت العقل عند الأوّل وغيابه عند الثاني، وبغياب العقل تحلّ محلّه الغريزة القائمة على ردّة الفعل؛ فتعمل على التجريب لا من أجل اكتساب تجربة وزيادة خبرة، وإنّما تجريب ظنّي بدافع الخوف الغريزي الذي حلّ محلّ الخوف الفطري المرتبط بعلاقة وطيدة مع العقل.

إنّ المعرفة التجريبية لدى غير العقلاء لا يمكن أن تكتسب، وإنّما هي محاولة قد تخطيء وقد تصيب، لأنّها بالنسبة إليه ظنيّة، وبالنسبة إلى العقلاء افتراضات خارج دائرة التجريب العاقلة كونها لا تمنح استدلالا يقينيا لمنبّهات الخوف الموصلة إلى النجاة والدافعة إلى بلوغ الغايات ونيل المأمولات من بعدها.

لأنّه معلوم أنّ إشارات التنبيه الخوفية تذهب بداية إلى العقل الذي يتعامل مع ما ورد إليه من معلومات يعرضها على ما اختزن في الذاكرة ليجد مضاداتها ومتوافقاتها ويعلم سالبها وموجبها، ثم يتّخذ قراره الذي يدفعه إلى الإرادة، وهذه العملية لا تتمّ إلاّ بسلامة العقل الذي يستقبل المعلومات أو الإشارات ويرسلها بعد معالجتها،

ولا ينتهي دوره بعد أن يدفع بها إلى الإرادة، وإنّما يتعاظم دوره بعد ذلك في توجيه الإرادة أيضا؛ فغير العاقل إن كانت أعصابه من خطوط الاستقبال والتوجيه التي تستلم الإشارات والمعلومات سليمة؛ فإنّ ذلك لا يغني عنه شيئا بغياب العقل؛ فالمنبهات على الخوف وإن أثّرت على الأعصاب؛ فهي إمّا أنّها لا توصل الإحساس إلى الدماغ، أو أنّ الدماغ لا يتعامل معها لغياب العقل، وهنا يفقد غير العاقل التوجيه المركزي في التعامل مع مخاطر الخوف ويلجأ بالغريزة إلى الاستثناء القائم على ردّة الفعل ما يترتّب عليه غياب تقدير النتائج وذلك أنّه:

ـ فقد القرار السليم الذي كان يتّخذه العقل في قياس حجم المخاطر أوّلا، ومن ثمّ طرح البدائل والحلول التي تواجه الحدث.

ـ فقد الإرادة التي كانت تبعث في الأعصاب ما تبعثه المؤثّرات في التعامل مع الحدث لحظة استنهاض الخوف للمخاطر، وكيفية التعامل معها بعد تلقي القرار من العقل وتفويضها في التعامل مع المخاطر.

ولما كان الخوف من العواطف اللازمة للإنسان ويسكن في نفسه؛ كان ذلك مؤشّر النقطة الصفرية، وهذا الخوف كامن في النفس عند نقطة الصفر التي يمكن أن نعتبرها بداية الموجب كون

الصفر يدخل ضمن الأعداد، وهذا يعني أنّ وجود الخوف في نقطة الصفر هو بحدِّ ذاته موجب لوجوده.

إنّ الخوف يجعل النفس الإنسانية والإنسان بكلّيته عند استثارة المخاطر للخوف في نفسه، يتأرجح بين السالب والموجب إلى أن يتمّ الاختيار من العقل ودفع القرار إلى الإرادة؛ فإن اتجهت الإرادة إلى التوجس والحذر والخشية؛ تكون قد سلكت مسلكا موجبا انطلاقا من الصفر صاعدا، وإن اتجهت إلى التخاذل والجبن، فقد نحت منحىً سالبا انطلاقا من الصفر نزولا.

إنّ نعمة الخوف التي تسكن في نفس إنسان، لا يكاد أحد ينتبه إلى أنّها نعمة عظيمة؛ فالخوف إن لم يوفّر نِعَما كثيرة؛ فإنّه يحافظ على ما هو متوفّر من النعم لدى الإنسان على الأقلّ.

إنّ الخوف من جملة العواطف التي يمتلكها الإنسان، وهي تستثار بمخاطر خارجية تؤدّي إلى بلوغ المأمول إن تمّ حُسْن التصرّف، ولكن إن لم يتمّ حسن التصرّف، فإنّ ذلك سيدفع المخاوف إلى الصعود في مواجهة مع الأمل. ومع ذلك فالأمل يدفع الواعين إلى تغيير المواقف من حالة السلب إلى حالة الإيجاب، بغاية ربط العلاقة الآنيّة مع المستقبل المأمول؛ إذ إنّه في اللحظة الآنيّة يُعد الخوف شعورا سالبا تجاه المستقبل المأمول، ومن هنا يكون للأمل وللخوف معا علاقة مباشرة باليقظة والفطنة والحذر؛ فهما ناقوس

يدقّ في عقل الإنسان كلّما كان هناك استقراء للمستقبل؛ وبذلك فهو استطلاع مستقبلي للمخاطر التي ينبّه عليها العقل قبل أن تأتي، ممّا يجعل الإنسان يفكّر في إيجاد موانع وحواجز تدفع المخاطر المستقبلية وتمنع وقوعها، وبهذا تكون عاطفة الخوف قد دفعت بالعقل إلى البحث عن الأسباب التي يمكن أن تحقِّق ما يُمكّنه أملا من التطلّع إلى الأفضل المأمول.

إنّ عاطفة الخوف مثل بقيّة العواطف تبقى قائمة في النفس إلى حين استحضار ما يهدّؤها ويعيدها إلى مكمنها عن طرق العقل، ما يجعل اضطراب النفس مصاحبا لمجاراة العواطف والانفعالات الإنسانية التي لا مناص منها في الأزمات، ومهما جاشت لن تدوم، بل ستخفت وتهدأ بعودتها إلى مكمنها، والذي يبقى الحقائق التي تنكّشف للعقل عن طريق تنبيه الخوف له والأمل لا يفارقه، فيستلم العقل هذه الحقائق ويعيد على أساسها البناء النفسي في عملية تهيؤ واستعداد لمواجهة الحدث والتعامل معه، وكون الخوف نقطة صفرية في النفس الإنسانية، فهو لا ينبّه على المكروهات والمخاطر فقط، وإنّما ينبّه أملا على المحبوبات والموجبات، وبهذا ينبّه الخوفُ الإنسانَ على ما يمكن أن يدركه من مخاطر فيلحق به الأذى، وينبّه على ما يمكن أن يفوته ممّا يحمل له فائدة ومنفعة إن اتخذها مأمولات؛ فالخوف لا يقتصر تحذيره على المساوئ، وإنّما يتعدى ذلك إلى المحامد والمحاسن؛ أملا قبل فواتها، ولهذا يثير الخوف

العواطف التي تتعلّق بالمكروهات والمحبوبات من المخاطر والمطمئنات، وكلّ عاطفة عبارة عن مجموعة انفعالات.

فعندما يستشعر الخوف المطمئنّات، يستثير مجموعة انفعالات سارة نحو الحدث أملا قبل فواتها ورغبة في الاستحواذ أو الإعجاب أو الشهوة، أو السرور أو الراحة أو الامتنان، فيجيّش عاطفة المحبّة ومحفّزات الأمل رغبة في ذلك.

وعندما يستشعر المساوئ، يؤجج مجموعة انفعالات غير سارّة تجاه الحدث كالخطر أو الضيق، أو الاشمئزاز أو البغض أو الحقد؛ فيدفع بعاطفة الكراهية تجاه هذه الأشياء.

ولذا؛ فالخوف تهيؤ وجداني واستعداد فطري يجعل صاحبه قابلا للانفعال، ولاتخاذ موقف معين في السلوك تجاه الموضوع أو الحدث الخارجي الذي نبّه عليه الخوف أملا للمستقبل.

إنّ الخوف المؤسّس على استقراء المستقبل في اللحظة الآنيّة، يستوجب مترتّبات دفع المخاطر التي نبّه عليها الخوف، لأنّ الخوف في الزمن الآني هو استشعار ما يأتي من الخطر في المستقبل، وهو في زمنه (اللحظة الآنيّة) يكون شعورا سالبا، لأنّه يؤدّي إلى نوع من الاضطراب مصحوب بالقلق على الرغم من محاولات البحث الجارية التي تؤمّن الاطمئنان المستقبلي بأمل عريض.

وهذا الاطمئنان الذي يجدّ العقل في البحث عن مستلزماته، يكون ناتجا عن تلقي المعلومات الواقية التي يستنبطها العقل إمّا من تجربة يمتلكها سابقا، وإمّا أنّه يستنتجها من تداخل العمليات العقلية في معالجة تجارب متعددة ويدفعها للإرادة التي تعود بالنفس إلى حالة التوازن والاستقرار، ممّا يسمح باستنهاض بقية الملكات العقلية من الذاكرة عن طريق التذكّر كلّما جاءت معلومة جديدة، وكذلك الملكات النفسية القائمة على التهيؤ والاستعداد والإعداد والتأهّب، وبهذا يكون الخوف قد دفع قوى الإنسان العقلية والنفسية والروحية في الاتجاه الموجب الذي يحقّق التوازن مع العامل الخارجي الذي نبّه الخوف على مخاطره بحيويّة الأمل.

إنّ الخوف جزء من العاطفة عند البشر، وهو شعور متحقّق لدى الإنسان لا نقول إنّه ينتابه عند استشعار المخاطر، وإنّما عند استشعار المخاطر يخرج من مكمنه في النفس الإنسانية كجزء من العاطفة، ولذا يترتّب على الخوف بالنسبة للعقلاء أخذ الحيطة والحذر إلاّ من غفل عن ذلك، وهنا ليس الذنب ذنب الخوف كما يظن البعض، وإنّما مردّ ذلك إلى أمرين:

الأوّل: ضعف الشعور الذي لم يصل بصاحبه إلى مرحلة الاستفزاز.

الثاني: قلّة خبرة العقل وضعف تجربته التي لم تسعفه تلك التجربة أو الخبرة التي يحتفظ بها في الذاكرة لأن يرتقي إلى مستوى الحدث الذي يشكّل الخطر.

ولذا فهناك من الخوف ما يؤدّي بأصحابه إلى الإسهام في صناعة التاريخ وبلوغ المأمول قمّة، وفي المقابل هناك من الخوف ما يدفع بأصحابه إلى ارتكاب الجرائم التي تلقي بأصحابها في قمامة التاريخ ومن ثمّ تؤدّي بهم إلى جهنّم.

ذلك أنّ الأمل الذي يكمن في العاطفة والتجربة التي يحملها العقل هما المسؤولان عن تحديد حجم المخاطر التي يثيرها الخوف داخليا بما حفّز العقل بداية بمثيرات خارجية من معلومات استنهضت الخوف من النفس، ومن ثمّ تنعكس على النفس وما تحمل من عواطف بحيث تكون هذه العواطف منبّهات للعقل في اتخاذ الإجراء المناسب بما يحمل من معلومات تتمثّل في الخبرة والتجربة التي يضعها في تصرّف الإرادة وإن كانت الإرادة أحد ملكاته، إلاّ أنّه جانب تخصّصي من مهام الإرادة.

إنّ تجربة العقل وخبرته هي صاحبة القول الفصل في اتخاذ القرارات للتغلّب على المخاطر أو إيجاد أسباب تلافيها، وهذا لا يعني عدم الخوف بحال من الأحوال، وإنّما تعاظم التجارب المخيفة وكثرتها أدّى إلى زيادة الخبرة العقلية، ومن ثمّ الاحتفاظ بهذه الخبرات

في الذاكرة، بحيث يستدعيها من الحافظة عن طريق التذكّر واستحضارها لاختيار ما يناسب منها في مواجهة المخاطر المطروحة من قبل الخوف، وإن استنتج العقل أنّ أيّ تجربة من التجارب التي يحتفظ بها لا تقوم في مواجهة الأخطار المتوقّعة؛ فإنّه يلجأ إلى استنتاج آخر يكون نتيجة تجربتين أو أكثر يقدّر أنّها قادرة على مواجهة الخطر المتوقّع.

ومن بواعث الخوف الموجبة المقدّرة للمخاطر، عندما نادى الله تعالى سيدنا موسى صلى الله عليه وسلّم بقوله تعالى: {وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ}[56].

إنَّ طلب موسى من ربِّه أن يزودّه بما يكون له عونا على أداء رسالته إلى فرعون وملئه، كان بدافع الخوف المشروع الموجب من أجل بلوغ الغاية ونيل المأمول؛ حيث إنّ خوف موسى صلى الله عليه وسلّم أبدى له المخاطر المحتملة عندما قارن إمكاناته مع المهمة التي أمره الله بها، وهذا الخوف نبّهه على أشياء ضرورية للوصول إلى الهدف وتحقيق الغاية، ولذا طلب من ربّه أن يشرح له صدره، وييسّر له أمره، ويحلل عقدة من لسانه، وأن يجعل له وزيرا من أهله، وهو

[56] - الشعراء 10- 14.

هارون عليه الصّلاة والسّلام، ولا يمكن لقائل أن يقول: إنّ الخوف يقدح في تمام التوكّل عند موسى صلى الله عليه وسلّم، لأنّ الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكّل، ولا يكون قادحا فيه بحال، كما أنّ الخوف من المخاطر لا يعني عدم مواجهتها، وإنّما يعني التهيؤ والاستعداد للمواجهة مع أمل المغالبة والفوز، والخوف ممّا تحمله المخاطر لا يقدح في شجاعة المرء، أو أنّه يُعد نقيصة في حقه، بل هو فطنة وإدراك وأخذ بالأسباب الموجبة التي تولّد الأمل وتوصل إلى المأمول، وبهذا الخوف يكون قد استكمل عدّة المواجهة في تأدية الموجب، وهذا يدلّ على أنّ الخوف يستلزم فعل الموجب.

ونحن لا نقول إنّ الحياة لا تخلُ من المخاوف، وإنّما هي مليئة بها، وهذه المخاوف التي تحمل المخاطر وما يمكن أن يصيب الإنسان من الشرور، تسبِّب آلاما كثيرة، متنوّعة من حيث الحجم، ومتعددة من حيث الكم، ومختلفة من حيث الإدراك إمّا حسيّا وإمّا شعوريا؛ فما كان منه حسيّا يقع على الجسد، وما كان منه شعوريا يقع على النفس، وما كان منه ذهنيا يقع على العقل الذي يحمل الأفكار؛ فتتألّم الذاكرة إمّا بالنسيان، وإمّا بعدم الاستيعاب، وإمّا بقلّة الإدراك، وهنا فقد يصيب الإنسان ألم حسيّ، أو ألم معنويّ شعوريّ، وقد يجتمع الألم الحسي والشعوري المعنوي في أحيانٍ كثيرة لدى الفرد الواحد ممّا يترتّب عليه ألم مضاعف ومتنوّع، ومن نعمة الله تعالى على الإنسان، أنّ الألم نفسه عندما يداهم أحدا يحمل

معه علاج التخلّص منه وإجراءات وقائية لآلام هي أعظم من الألم القائم، ويتمثّل العلاج والإجراء الوقائي بما يحمل الألم من خوف، أو بعبارة أدقّ أنّه يستنهض الخوف دفعا للألم الأعظم بأمل أعظم، لأنّ الخوف الذي ينبّه العقل على مخاطر الألم، يكون قد وضع أولى الحواجز وأقواها في التصدّي للألم إن كان موجودا، أو منع حصوله عندما يستشعر الخوف حضوره، وعلى هذا لا يكون الخوف واقٍ من الألم فحسب، وإنّما يحمل علاجا للألم القائم أيضا، ذلك أنّ دافع الخوف يتعاظم بوجود الألم، وهذا التعاظم يكون أكثر تأثيرا على العقل حال وجود الألم، أكثر من حال استشعاره، ومن هنا تكون حسابات العقل منصبّة على التخلّص من الألم القائم من خلال تجارب وطرق وأساليب بما يحتفظ به من أفكار في الذاكرة لتجربة مشابهة أو تجارب متعددة كان قد مرّ بها، فيسعى إلى التخلّص من الألم بما يوعز إلى الإرادة من اتخاذ إجراءات تناسب الحالة القائمة على مقتضى الوجوب، بينما يكون التعامل في الألم الذي ينبّه الخوف على وقوعه، بطرق وأساليب وبدائل تختلف عن التعامل مع الألم القائم، ذلك أنّ الألم الحاصل الذي نبّه عليه الخوف تكون إجراءاته علاجية، بينما تنبيه الخوف على ألم يمكن أن يحصل، تكون إجراءات العقل معه وقائية.

وبهذا يخاطب الخوف الجانب الشعوري من هذه المشكلة في الشعور بالألم، لأنّه يدفع العقل إلى استنتاج السبل العلاجية للألم

القائم، والوقائية للألم المتوقّع بأملٍ كلّه تحدٍ، وفي كلتا الحالتين يكتسب الإنسان عن طريق الخوف نوعا من الاستقرار في التعامل مع الألم القائم، وطرفا من الطمأنينة للألم المتوقّع.

إنّ الخوف الذي هو واقٍ من الألم لابدّ أنّه سابق عليه، ولذا تكون هناك إجراءات احترازية يتخذها العقل بدافع الخوف بإصدار تعليمات إلى الإرادة تكون مصدّات في وجه الألم لمنع وقوعه، ومن هنا يلد الأمل أملا جديد يمكّن من مواجهة متى ما تحدث في دائرة الممكن[57].

[57] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف 68 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

صدر له (119) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

المؤلّفات

1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 . البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87. آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88. إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89. نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89.

90. هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91. صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92. لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93. إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94. إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95. إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعية.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعية، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 78 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (119) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية